من البداية إلى النهاية

إعداد

أحمد عبد السلام　　محمد عوض صالح

محمد خيري محمد　　عبد الله عبد الرحمن

إشراف

محمد حسني سلامة　　صالح محفوظ حسون

مراجعة وتقديم

فضيلة الشيخ الدكتور
صبري عبد المجيد

فضيلة الشيخ
أحمد سليمان أيوب

من البداية إلى االنهاية

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد :

فحاجة العبد إلى الهداية للحق أشد من حاجته إلى طعامه وشرابه، فبغير الهداية سيخطئ لا محالة طريق الجنة، فلا سعادة بغيرها وكل الشقاء بضدها، والهداية تجرُّ الهداية والضلالة تجرُّ الضلالة، فكلما ازددتَ من أعمال الهداية زادك الله هدى، وكلما اقترفت من أعمال الفجور والضلال أورثك ذلك بُعدًا وضلالة عن الصراط المستقيم، فإن خَطِئْتَ الصراط القويم فطرق الضلال كثيرة وكثيرة ومتشعبة، ولهذا ترى أكثر الناس قد تنكبوا عن الصراط المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ۝٧٤﴾ [المؤمنون : ٧٣ - ٧٤]

فلما عزَّ الرفيق على الطريق نبَّه الله عباده تنبيها يُزيل الوحشة والغربة فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]

والذين أنعم الله عليهم بيَّنهم بقوله : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء : ٦٩]

فعندها لا تكترث بمخالفة الناكبين عنه، فإنهم هم الأقلون قدرًا، وإن كانوا الأكثرين عددًا، فعليك بطريق الهداية والحق ولا تستوحش لقلة السالكين ولا تغتر بكثرة الهالكين .

فإن أصابك الهمُّ أو وقع في قلبك وحشة التفرد فتذكر رفقاءك السابقين، واحرص على اللحاق بهم، وهذه الرسالة المباركة فيها بيان **رحلة الهداية** بكل ما فيها من نعيم وسعادة، وهي لا تخلو من همّ وأوجاع، فانظرها بعين المستبصر المسترشد حتى تزيل عنك غشاوة الجهل والبعد، وأسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها والداعي لها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أحمد بن سليمان أيوب

تمهيد

الحمد لله الهادي من استهداه، الكافي من تحرى رضاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرجُو بها الفوز والنجاة، وأشهد أن نبيَّنا وسيِّدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيُّه ومُجتباه.

وبعد : فإن الدنيا دار ممرّ وليست دار مقرّ، المسلم فيها غريب وعلى سفر قريب، والناس منذ أن وُلِدوا وهم عن الدنيا في ارتحال، وعلى الآخرة في إقبال، والرحلة إلى الله لها طريق واحد هو **طريق الهداية**، وكل سبيل غيره فضلال وغواية.

ولمّا كانت الهداية هي أشرف ما يرتحل الإنسان في طلبه، وكانت النصيحة من صميم الدين ولُبِّه فقد جمعنا لك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب وأسميناه "**رحلة الهداية**".

فكرة الكتاب وطريقته

يتناول الكتاب **موضوع الهداية** بوصفها أهم رحلة في حياة الإنسان، فيتحدث عن أهميتها ويحدد طريقها، ومتطلباتها، ويصف خطواتها ومراحلها، ويضع الخطة لتجاوز عقباتها والتغلب على قواطعها، ويصف ما بها من منافسات، ووسائل للثبات... وغير ذلك، ويسير الكتاب مع القارئ في كل ذلك بعبارة سهلة، وعناصر متسلسلة، وخطوات عملية، ليصل به في النهاية إلى غاية الرحلة ومسك الختام للحديث عن لقاء الله ودخول جنته.

لمن هذا الكتاب ؟

هذا الكتاب لكل مسلم يبتغي الهداية سبيلاً، لكل من انشغل بدنياه حتى تعثر سيره إلى الله، للشباب المسلم الذين مالوا عن الطريق، لطلبة العلم الذين اكتفوا بأن يكون حظهم من العلم تحصيلاً، ولم يكن قائدًا ودليلاً، والكتاب أيضًا منهج عملي للدعاة والمربين لدعوة الناس لرب العالمين.

كيف تقرأ قراءة مفيدة

- تخلص من الشواغل قبل القراءة، وابدأ بقراءة خريطة الكتاب والفهرست.
- حدِّد وقتًا وقدرًا وسرعة مناسبة للقراءة، وركِّز في قراءتك على الفهم لا الكم.
- ضع علامات وخطوطًا على النقاط المهمة، ودَوِّن الفوائد والملاحظات على الهوامش.
- لخِّص ما تقرأ في عبارات موجزة لتعمل بها.

- كرِّر المواضع التي تحتاج إلى تثبيت، احفظ العبارات المهمة وتمثلها عمليًا.
- قيِّم نفسك بعد قراءة كل مرحلة.
- يمكنك الخروج بأسئلة واستفسارات، وقد تجد الإجابة عن أسئلتك في فصل آخر.
- إن استعصى عليك شيء فسل أهل العلم.
- خصص وقتًا للقراءة الجماعية مع أسرتك.

إشارات للدعاة والمربين

١ أشعرهم أنك تمضي بهم في رحلة حقيقية، واستخدم عنصر التشويق في الشرح والوقوف.
٢ اجعل المتلقين طرفًا فاعلاً في التعلم، واجعلهم يحضرِّون الموضوعات قبل الدرس.
٣ مهِّد لكل درس بسؤال أو موقف أو قصة، واربط بين موضوعات الكتاب وسل فيما سبق.
٤ ضع الحواشي والتعليقات من عندك.
٥ خاطب مع العقل الشعور والوجدان، ونزِّل المكتوب على واقع الناس.
٦ راعِ الفروق الفردية أثناء الشرح.
٧ كلِّف بعضَهم بشرح بعض الموضوعات، وكلِّف ببعض الواجبات والبحوث القصيرة.
٨ استمع وأجب عن المشكلات المتعلقة بالموضوع.
٩ درِّبهم على ممارسة الدعوة بما تعلموه، وتابع المدعوين في تطبيقهم العملي
١٠ أجرِ مسابقات في موضوعات الكتاب.

وختامًا : أسأل الله أن يجزي خيرًا كل من أسهم في هذا الكتاب بجهد، وأن يغفر لكاتبه وقارئه ومعدِّه، وشارحه، وناشره ومن قدَّم له وراجعه، وأخص بالثناء والدعاء فريق اللجنة العلمية لاسيما الأخوة الأكارم :
الشيخ الهُمام : أحمد عبد السلام، والشيخ الفاضل : محمد عوض، والشيخين الكريمين : محمد خيري، وعبد الله عبد الرحمن، والمصمم المُبدع : عبد الرحمن الزهار.
ونرجو من كل من أفاد من هذا الكتاب شيئًا ألا ينسانا من دعوة صالحة بظهر الغيب.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين

كتبه
محمد حسني سلامة

خريطة

١ رحلة الهداية

٢ أهم رحلة

٣ رحلة لابد منها

٤ عروض مغرية

٥ لا تتخلف

٦ دليل المسافر

٧ وثائق السفر

٨ تكاليف الرحلة

٩ احجز مقعدك

الرحلة

١٠ عقبات البدايات
١١ لوازم الانطلاق
١٢ تعرَّف على الطريق
١٣ قواعد المرور
١٤ بداية السير
١٥ خطوات التخلية
١٦ خطوات التحلية
١٧ قطّاع الطريق
١٨ نهاية الرحلة

أهم رحلة في حياتك

لا يخلو الإنسان في حياته من حِلٍّ وترحال، ولكنَّ شرفَ الرحلة بشرف الغاية، وأشرف غاية هي الهداية، وأعظم رحلة هي رحلة الهداية.

كيف لا تكون كذلك وهي:

- رحلة إلى الله ... الرحمن ... الرحيم ... الودود ... الغفور ... الشكور
- أكثر الرحلات ربحًا .. فربحها هو أغلى ما تملك فهو نفسُك التي لا تملك أعز عليك منها.
- نهاية للآلام والأحزان والتشتت والضياع.
- رحلة تحقق من خلالها أحلامك ... أهدافك ... وطموحاتك.
- الطريق الوحيد لتحقيق السعادة التي لا شقاء بعدها.

وأنت على هذا الطريق:

- ترى حولك وعن يمينك وشمالك العلماء والعبَّاد والصادقين.
- أمامك في الطريق الذين أنعم الله عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
- الملائكة تحفُّك بأجنحتها ... تدعو لك ... تستغفر لك ... تدفعُ عنك ... تَحميك.
- ينتظرك في نهاية الطريق .. نعيمٌ لم يخطر لك على بال، فلم ترَهُ عينٌ ولم تَسمع به أذُنٌ.

هي رحلة لابد منها، إذ لا نَجاةَ مِن العذاب ولا وصولَ إلى السّعادة إلّا بها.

- **ملك الملوك يدعوك** : « مَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ».[1]
- **فما أعظم الفرصة**، حين يدعوك مولاك ليُقيل عثرتك ويغفر زلَّتك.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، والبخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري (٧٥٣٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

رحلة سعيدة لأسعد إنسان

حان الوقت ليمضي ليلُ الآلام والأحزان ، ليُسفر عن صُبْحِ السعادةِ واللَّذةِ والاطمئنان

فإذا بالصدرِ قد اتَّسع وانشرح ....

وإذا بالقلب قد اطمأن وامتلأ بالسرور والفرح

وإذا بالروح تنطلق حرةً طليقة ، مما كان يُكبِّلُها من ماديات الدنيا وكَدَرِها

مـا أجمـل العـودة إلـى الله، وما أروع أن يتذكر التائب أن له ربًّا قادرًا ، يراه على حاله من الذنوب والمعاصي ، فينتفض بدنه ، ويخشع قلبه ، ويندم ندمًا عظيمًا ، ويعزم على التوبة والعودة والإنابة.

- حانت ساعة الفرار ..
- احمل متاعك ..
- وانطلق مع الركب المسافر ..
- لا تُفكِّر ..
- لا تلتفت ..

هيا انطلق .. لا تتردد .. لا تسوف .. لا تتلكأ

﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]

انطلق إلى جنة الدنيا

هي جنة عاجلة ، تتقلب في نعيمها إلى أن تصل إلى جنة الخلد الآجلة

إنّ في الدُّنيا جَنَّة مَن لم يدخلْها لم يدخُلْ جَنَّةَ الآخرة.

فمن كانت هذه الجنة مأواه هاهنا، كانت جنَّةُ الخلد مأواه يوم الميعاد، ومن حُرِم هذه الجَنَّة فهو لتلك الجنة أشدّ حرمانًا.

هي جنة : مثقالُ ذَرة مِن لذتها ، لا يَعدلها أمثال الجبال مِن لذَّات الدنيا الفانية.

جنة عيشها لا نسبة لعيش الملوك إليه ، فقد قال مَن ذاق هذه اللذة : لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

جنة لا تفارقك فهي معك أينما كنت : أنا جَنتي وبُستاني في صدري، أين رُحْتُ فهيَ مَعِي لا تُفارِقُني. [١]

وأنت في رحابها تمرّ بقلبك أوقات تقول فيها : إنْ كان أهلُ الجنة في مثل هذا، إنَّهم لفي عيشٍ طَيِّب.

من ذاق لذتها تحسَّر على من فاتته هذه اللذة : مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، وأطيب ما فيها : محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه. [٢]

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (ص: ٤٨)
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٥٢)

قال ابن رجب[1] : إن الله تعالى يُعجِّل لأهل طاعته مِن نفحات نعيم الجنة ورَوحِها ما يجدونه ويشهدونه بقلوبهم مما لا يُحيط به عبارةٌ ولا تَحصره إشارة.[2]

فسبحان مَن أشهدَ عبادَه جنَّته قبل لقائِه، وفتَحَ لهم أبوابَها في دارَ العمل ، فأتاهم مِن رَوْحِها ونَسيمِها وطِيبها ما جعَلَهم يَبذلُون قواهم لطلبها والمسابقة إليها.[3]

انطلق إلى الحياة الحقيقية

الحياة الطيبة لا تكون إلا بالله ومع الله، قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].[4]

أي : لنَرْزُقنَّه طاعةً يجدُ لذتَها في قلبِه.[5]

قال ابن كثير[6] : والحياة الطيبة تشمل وجوهَ الرَّاحة مِن أيِّ جهة كانت.[7]

وقال السعدي[8] في قوله تعالى : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب.[9]

انطلق إلى السعادة الدائمة

سعادة أكَّدها الله لنا في كتابه فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣]

فالأبرار في نعيم في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، وإن كان النعيم الأكمل يوم اللقاء.

---

(١) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٢٤)
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٨)
(٤) الداء والدواء لابن القيم (ص: ١٨٣)
(٥) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٣٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٢٣٧)، وحلية الأولياء (٨/ ٣١٨)
(٦) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)
(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١)
(٨) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)
(٩) تفسير السعدي (ص: ٤٤٩)

وهل النعيم في الحقيقة إلا نعيم القلب وسروره وبهجته ، وليس للقلوبِ سرورٌ ولا لذَّةٌ تامةٌ إلا في محبَّةِ اللهِ والتَّقرُّبِ إليه بما يُحبُّه. [1]

ومَنْ أرادَ السعادةَ الأبديَّة، فليَلْزَمْ عتبةَ العبُودية. [2]

انطلق إلى ميلادك الجديد

وهل يولد الإنسان مرتين ؟ .. الإنسان قد يولد مرة واحدة وقد يُولد مرتين ..

أما الميلاد الأول : فهو يوم يخرج من ظلمات رَحِم أُمِّه إلى نور الدنيا.. وذلك ميلادٌ يشترك فيه كل البشر.. المسلمون والكفار.. الأبرار والفجار.

أما الميلاد الثاني : فهو يوم يخرج من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، وهذا الميلاد خاصٌ بمن وفقه الله لطريق الهداية. وقد وصف الله لنا هذا الميلاد بقوله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]

إنه ميلاد لا يتقيّد بعمر.. فقد تولد في أيّ عُمُر.. وهنيئًا لك إن لم يَسبق الموتُ ميلادك هذا.

إنه ميلاد : يَهُزُّ نفسَك هزًّا.. شيء يُشعرك بأنك ما خُلقت عبثًا ولن تُترك سُدَى ولا هملاً.

ميلاد جديد لقلبك ليُحلّق في سماء المعالي :

فمَن لم تولد رُوحه وقلبه ويخرج من مشيمة نفسه ويتخلص من ظلمات طبعه وهواه وإرادته فهو كالجنين في بطن أُمه الذى لم يرَ الدنيا وما فيها. [3]

إشراقة

قيمة كل امرئ ما يطلب، فمَن طلب الله فهو أجلّ من أن يقوَّم

ومن طلب غيره فهو أخسّ من أن يكون له قيمة. [4]

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنهَا ... مَنَازِلُكَ الأولَى وَفِيهَا المُخَيَّمُ

وَلكِنَّنَا سَبْيُ العَدُوِّ، فَهَلْ تَرَى ... نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ ؟

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٣٢)
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٢٩)
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٥)
(٤) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤٣٥)

كلنا يحتاج إلى رحلة الهداية

في زمان قلَّ فيه العلماء، وكثر فيه السفهاءُ!

في زمان قال فيه مَن شاء ما شاء!

في زمان يُصدَّق فيه الكاذبُ، ويكذَّبُ فيه الصادق، ويؤتمن فيه الخائنُ، ويخوَّنُ فيه الأمين!

فكم من طاعاتٍ نحن بحاجة فيها إلى الهداية !

وكم من أعمال نقدِّمها نحتاج فيها إلى الهداية !

وكم من قُرُبات نحتاج إلى الثبات عليها !

وكم من الآراء والمواقف التي تستوقفنا على طريق سَيْرِنا إلى الله ونحتاج فيها إلى الهداية!

لذلك فنحن نسأل الله كل يوم في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم في كل أمورنا.

- قال ابن تيمية [١] : والعبدُ مُحتاج إلى الهُدَى كلّ لحظَةٍ ، بل هو إلى الهدى أحْوَج منْه إلى الأكل والشُّرْب.[٢]

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، توفي سنة (٧٢٨ هـ)
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٢١٦)

هذه الرحلة لك أنت

نعم هذه الرحلة المقصود بها أنت؛ لأنك :

- إن كنت طائعًا فلابد لك من هذه الرحلة :
  - لتزداد طاعة وتثبت عليها ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]
- وإن كنت عاصيًا فما أحوجك لهذه الرحلة فالله :﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ [إبراهيم: ١٠]
- الكل مقصود برحلة الهداية :
  - الطائع والعاصي
  - البَر والفاجر
  - الغافل والمجتهد
- لأن الهجرة إلى الله ورسوله بالإيمان والأعمال الصالحة واجبة على مدَى الأنْفاس والأزمان.

◄ قال ابن القيم[١] : الهجرة إلى الله ورسوله فرضُ عين على كل أحد في كل وقت، وهي مطلوب الله ومراده من العباد.[٢]

◄ وقال ابن رجب[٣] : لا شك أنَّ اللَّه تعالى يدعو عباده إلى طاعته، وإلى ما فيه رضاه، وما يُوجِب لهم به سعادة الدنيا والآخرة، فمن أجاب دعاءه واستجاب له فقد أفلح وأنجح.[٤]

⚠ انتبه : الحجز في الرحلة وقته محدود :

كما في قوله ﷺ : " إِنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ "[٥]

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب، توفي سنة (٧٥١ هـ)

(٢)زاد المهاجر إلى ربه (الرسالة التبوكية) لابن القيم (ص: ١٦)

(٣) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، توفي سنة (٧٩٥ هـ)

(٤) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ١٠٠)

(٥) حسن: أخرجه أحمد(١٧٦١)، والطبراني في الدعاء(١٥٢٢) من طريق إسماعيل بن عياش، ثنا ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن مالك بن يخامر السكسكي، عن عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم.

رحلتنا

ارتحال من	إلى
نفسٍ أمّارة بالسوء همُّها الشهوات	نَفسٍ مطمئنة سعادتُها في عمل الطاعات
قلبٍ قاسٍ مُلوَّث بالذنوب	قلب سليم ممتلئ بمحبة علام الغيوب
روح شاردة عن ربها متبعة لهواها	رُوح قائمة بحق من أنشأها وسوَّاها
جوارح عن الخيرات معطّلة	جوارح شُغْلها العملُ للآخرة
صحبة الفاشلين والفاسقين	صحبة أولياء الله الصالحين
اتباع خطوات الشياطين	صحبة الملائكة المقربين
ضيق الصدور بالهموم والأحزان	سعة الصدر بالقرب من الرحمن
قيود المعصية وأثقالها وأغلالها	جنة الطاعة ولذتها ونعيمها
ظلمات الجهل والتيه والغواية	نور العلم وأعلام الهداية
كـلِّ شـيء	مَن بيده ملكوت كل شيء

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥]

أيها السائر :

إذا كنتَ صادقًا في سيرك جادًّا في طلب الهداية فلن يُضيّع اللهُ سعيك ولن يخيِّب رجاءك ، ولكن لابد أن تعلم أمورًا :

أولها : أن الهداية من الله وحده

قال الله تعالى في الحديث القدسي « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ».[١]

فهداية التوفيق من الله وحده، فلم يجعلها حتى لنبيه ﷺ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]

◄ قال ابن القيم : أجْمعَ العارفون علَى أنَّ كلَّ خيرٍ فأصلُه توفيقُ الله للعبد، وكلَّ شرٍّ فأصلُه خذلانه لعبده.[٢]

◄ لذلك كان النَّبيُّ ﷺ يقولُ في دعائه : « وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي ».[٣]

فالهداية محض فضل من الله يَهبها مَن يستحقها، ويسلك سبيلَ تحصيلها، ويَحرمها مَن لا يَستحقها ويُعرض عن سبيلها ، قال تعالى :﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٢١]

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه.

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة(٠٩٣٩٢)، والترمذي (١٥٥٣)، وابن ماجه (٠٣٨٣) من طريق سفيان الثوري، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن طليق بن قيس، عن ابن عباس رضي الله عنهما

أئمة الهدى يعترفون لربهم بالفضل في هدايتهم

- إبراهيم عليه السلام يُعلن افتقاره: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]
- وشعيب عليه السلام يقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

قال السعدي: أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشرِّ إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي.[1]

- وقال ربنا تبارك وتعالى لإمام المهتدين ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]
- ولهذا كان محمد ﷺ وأصحابه يرتجزون

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا[2]

- وعندما يدخل أهل الجنةِ الجنةَ يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ثانيها: هدايتك لن تزيد في ملك الله شيئًا، وغوايتك لن تنقص من ملكه شيئًا

استمع إلى ربك ينادي جميع العباد: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».[3]

- هدايتك لنفسك وغوايتك عليك: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الإسراء: ١٥]

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٨٧)
(٢) رواه البخاري (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

ثالثها : هدايتك ليست لشرف نسبك أو لعلو منصبك

قال ابن القيم : احذر كلَّ الحذر من طغيان "أنـا"، "ولـي"، "وعندي"، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتُلِي بها إبليس وفرعون، وقارون، فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لإبليس، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ لفرعون، و﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ لقارون.[1]

فلو كانت الهداية بشرف النسب لكان أبو لهب القرشي أولى بها من سلمان الفارسي.

ولو كانت لعلو المنصب لكان هرقل (ملك الروم) أولى بها من بلال (العبد الحبشي) ولكن ربك ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]

رابعها : هدايتك ليست بذكائك ولا بإمكاناتك

كم من إنسان أُعطيَ ذكاء ولكنه لم يُعطَ تزكية لنفسه ولا هداية لقلبه، فعاش عبدًا لهواه، وعصى ربه ومولاه، فأبعَدَ اللهُ ذكاءً لا يعرف صاحبُه هدى، ورحم اللهُ الذهبيَّ لما قال في ترجمة أبي الحسن الرِّيْوَنْدِيّ، أحد أذكياء الزنادقة: لعنَ اللهُ الذكاءَ بلا إيمان، ورَضِيَ اللهُ عنِ البَلادَةِ مع التقْوَى.[2]

وتأمل هذا المعنى في أذكياء فرق الضلال، فما أغنت عنهم العقولُ والأحلام؟!

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض المتكلمين: إذا نظرتَ إليهم بعين القَدَر -والحَيرةُ مستوليةٌ عليهم، والشيطانُ مستحوذٌ عليهم - رحمتَهم ورفقتَ عليهم، أُوتُوا ذَكاءً وما أُوتُوا زَكاةً، وأُوتُوا فُهومًا وما أُوتُوا علومًا، وأُوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٦٢].[3]

قال ابن القيم : قد يُبصرُ العبدُ الحقَّ ولا تُوجد منه الهداية، كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] فهو سبحانه بصَّرَهم، فآثَرُوا الضلالَ على الهدى.[4]

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٣٤)
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٦٢)
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١١٩)
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٤٥٧)

لذلك كان أبو حازم سلمة بن دينار[1] يقول : مَنْ أُعجِبَ برأيِهِ ضَلَّ، ومَن استغْنَى بعَقْلِه زَلَّ.[2]

وهذا يدعوك إلى ترك التعويل على عقلك وفهمك، فكم من ذكي أضلَّه اللهُ على علم ؟

وانظر أمامك أممًا !

كم دفعت ثمناً للهداية ؟

في نفْسِ اليوم الذي وُلدتَ فيه بين أبوين مسلمين وفي بيت مسلم ، وُلد آلاف الأطفال بين أبوين كافرَين وفي بيت كافر ، فما الذي دفعتَه حتى تُولَد مسلما ؟ قال تعالى مُمتنّا علينا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]

خامسها : الذي بيده الهداية حكيم خبير

فالله عليم حكيم يضع الهداية في موضعها اللائق بها ، فيهدي مَن يعلم أنه يصلح للهداية، ويعرف قدرها، ويعمل بها، ويشكر ربه عليها، ويُضل مَن يعلم أنه لا يصلح للهداية، ولا يعرف قدرها، ولا يقوم بواجبها ؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]

وقال تعالى :﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧]

قال ابن القيم : فاللهُ سبحانه أحْكَمُ الحاكمين وأَعْلَمُ العالمين يَضعُ التوفيقَ في مواضعِه اللائقةِ به ، والخذلانَ في مواضِعِه اللائِقةِ به ، وهو العليم الحكيم.[3]

ومع كل ذلك ؛ فالعبد مطالب بالأخذ بأسباب الهداية، مُطالَب بالصبر والثبات والبدء بطريق الاستقامة، فقد وهبه الله عز وجل عقلاً منيرًا، وإرادةً حُرَّةً، يختار بها الخيرَ من الشر ، والهدى من الضلال ، فإذا بذل الأسبابَ الحقيقية ، وحرص على أن يرزقه الله الهداية التامة جاءه التوفيق من الله تعالى .

﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾

[الإنسان ٢٩ : ٣٠]

(١) ثقة عابد، توفي في خلافة المنصور، ما بين سنة (١٣٠ إلى ١٤٠ هـ)

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي(٣/ ٦٦٥)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)

عروض مغرية

رحلتنا هذه بها عروض مغرية جداً، ولوقت محدود، وإليك بعضها :

العَرْض الأول : رحمة بلا حدود لمن أقبل على الرَّب المعبود

تأمّل : عبد لم يعمل خيرًا قط ، والربّ : « تلقاه برحمته »

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُم ، أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الوَفَاةُ قال لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ ».[1]

قال القرطبيّ[2] : في الحديث أن المسرف على نفسه لا ييأس من رحمة الله تعالى ومغفرته.[3]

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ».[4]

العرض الثاني : شدة فرح الله بك

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ».[5]

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٨) ومسلم (٢٧٥٧)
(٢) أبو العبَّاس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى سنة (٦٥٦ هـ)
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٧٩)
(٤) رواه مسلم (٢٧٥٩)
(٥) رواه البخاري (٦٣٠٩) مسلم (٢٧٤٧)

العرْض الثالث: محبة الله لك

أيها التائب أما يكفيك أن يحبك الله ويُدنيك، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وإذا أحبَّكَ الله فتح لك أبواب الخيرات ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ».[١]

العرْض الرابع : مغفرة الذنوب

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]

فاعلم أنَّ سلعة ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴾ لا تُبذل إلا بثمن ﴿ لِّمَن تَابَ ﴾.[٢]

ومهما كانت ذنوبك فلا تقنط ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: " أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ".[٣]

فما دام حال العبد التوبة من الذنوب، جاد الرب بالمغفرة وستر العيوب.

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧)
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٣١)
(٣) رواه البخاري(٧٥٠٧)، مسلم(٢٧٥٨)

العرض الخامس : تبديل السيئات حسنات

بالتوبة الصادقة يصير السيئ حسنًا والعدو وليًا، قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِي هَذَا؟ قَالَ: « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ »[١]

والمفاجأة الكبرى يوم اللقاء، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا ».

قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.[٢]

العرض السادس : مضاعفة الحسنات

مع الله تجني أعظم الأرباح، قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ » .[٣]

(١) البخاري(٥٢٦)، مسلم (٢٧٦٣)
(٢) رواه مسلم (١٩٠)
(٣) رواه مسلم (٢٦٨٧)

العرض السابع: استغفار الملائكة ودعاؤهم لك

فما أكرم المؤمن على الله يكون نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر:٧ – ٩]

إن ملكًا واحدًا لو سأل الله أن يغفر لجميع المؤمنين لغفر لهم، كيف وجميعُ الملائكة وحَمَلة العرش يستغفرون للمؤمنين ؟.[1]

يا طالب الهداية..

بعد ما رأيتَ هذه العروض المغرية التي تُحرِّك الجبال

فلا أقلَّ مِن أن تأخذ الآن قرارًا بينك وبين نفسك لتبدأ في السير

إلى ربك لتربح كل هذه العروض وغيرها كثير

لأنك مقبلٌ على ربٍّ جوادٍ كريم.

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٥)

لا تتخلف عن الرحلة

احذر التخلف عن الرحلة

بادر حتى لا يُغلق الباب دونك ... فتهلك مع الهالكين وتخسر مع الخاسرين

قال ابن القيم : حذارِ ثُمَّ حذار مِن أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: ردُّ الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب ، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فعاقبهم على تخلفهم عن الإيمان لما جاءهم وعرفوه وأعرضوا عنه ، بأن قلّب أفئدتهم وأبصارهم وحال بينهم وبين الإيمان.[1]

والثاني: التهاونُ بالأمر إذا حضرَ وَقْتُه ، فإنك إن تهاونْتَ به ثبَّطَكَ اللهُ وأقعدَكَ عن مراضيه وأوامره عقوبةً لك قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣] فمن سَلِمَ من هاتين الآفتين والبليَّتين العظيمتين فليهنه السلامة.[2]

لا تتخلف حتى لا تندم في وقت لا ينفع فيه الندم : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾[الزمر: ٥٦]

وقال تعالى : ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٣٢)
(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ١٨٠)

لا تتأخر عن موعد الرحلة

أيها السائر قد وضح الطريق فما هذا التأخر عن السلوك والتعويق؟

الداعي يدعوك والحادي يحدو بك : { يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ } [الأحقاف: ٣١].

يا نفسُ ويحك قد أتـاكِ هـداكِ ... أجيبي فهذا داعي الله قد ناداك
كم قد دُعيتِ إلَى الرَّشاد فتُعْرضي ... وأجبتِ داعي الغيِّ حين دعاكِ [١]

إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وبادر الفرصة، واحذر البغتة، وإياك والتأجيل والتردد، وإذا عزمت فتوكل على الله.

مَن تأخر يُؤخِّره الله عن كل خير، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ ».[٢]

ومعنى (لا يزال قوم يتأخرون) : أي: عن الصف، أو عن الخيرات، أو عن العلم، أو عن اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.

(حتى يؤخرهم الله) أي: في دخول الجنة ، أو يؤخرهم من رحمته وعظيم فضله، ورفيع المنزلة.[٣]

احذر أن تتأخر عن موعد الرحلة فإنَّ :

أ العزائمَ والهمم سريعةُ الانتقاض وقَلَّما ثبتت

قال ابن القيم : إنَّ الرجلَ إذا حضَرتْ له فرصةُ القُربة والطاعة ، فالحزمَ كلَّ الحزْم في انتهازها والمبادرةِ إليها ، وحذارِ من العجز وتأخيرها والتسويف بها، ولاسيما إذا لم يَثِق بقدرته وتمكُّنِه مِن أسباب تحصيلها، فإن العزائمَ والهمم سريعةُ الانتقاض، قَلَّما ثبتت.[٤]

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤٢٨)
(٢) رواه مسلم (٤٣٨)
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) (٣/ ٨٥٠)
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/ ٥٠٢)

ب اللهَ سبحانه يُعاقب مَن فتحَ له بابًا مِن الخير فلم يَنْتَهزْه

بأن يَحولَ بين قلبِه وإرادته، فلا يُمَكِّنُه بعْدُ مِن إرادتِه عقوبةً له، فمَنْ لم يَستجب لله ورسولِهِ إذا دعاه حالَ بينَه وبينَ قلبِه وإرادتِه، فلا يُمْكِنُه الاستجابةُ بعدَ ذلك.[1]

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

بادر حتى لا تُسبق فتَندم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: « اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ »، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ».[2]

ليست المسألة مسألة حظ ، إنما المسألة أن عكاشة بدأ السير إلى الله في هذه الطريق، فلما وصل تلك المنزلة وأراد الله أن يمنحه إياها ، أجرى الله هذا الكلام على لسان رسول الله ﷺ وأحضره في المكان فأسمعه ثم أنطقه فبشَّره.

عاجل الأجل قبل أن يعاجلك

قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[المنافقون: ١٠، ١١]

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٠٢)

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦)

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي[1] :

واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله تعالى منها: لا تكون لِمَنْ استقام ظاهرُه وصلح باطنه. ما سُمِعَ بهذا ولا عُلِمَ به ولله الحمد

وإنما تكون لمن له فساد في العَقْدِ أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيأخذه قبل إصلاح الطوية ويصطلم قبل الإنابة، فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله.[2]

إياك والحيرة والتردد

خذها من مجرِّب، قال أبو محمد ابن حزم[3] : قَلّما رَأَيْتُ أمْرًا أمْكَنَ فَضُيِّعَ إِلَّا فَاتَ فَلم يُمكنْ بعْدُ.[4]

فإن التردد يفوِّت على العبد الفوز بالخيرات، ويبقيه في مكانه في الوقت الذي يسير فيه الركب فيصل الحازم إلى مبتغاه، وصدق القائل:

إذا كنت ذا رأي فكُن ذا عزيمةٍ ... فإنَّ فسادَ الرّأيِ أن تترَدَّدا
وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا ... فإن فساد العزم أن تتقيدا

ومشتت العزمات يُنفق عمُرَه حيران لا ظفرٌ ولا إخفاق

فلا تتوقف مترددا أو قلقا، ولا تُضيِّع نفسَك بالشكوك التي لا تَلِدُ إلا الشكوك، واستمع إلى ربك حين قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١]

(١) فقيه عالم بالحديث وعلله، توفي سنة (٧٤٨ هـ)
(٢) العاقبة في ذكر الموت ، لعبد الحق الإشبيلي (ص: ١٨٠)
(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٦٥٤هـ)
(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٨٣)

دليل المسافر

لكل رحلة دليل وأعظم رحلة لها أعظم دليل

- رحلتك لابد لك فيها من دليل يرشدك في سفرك وإلا فستضلُّ كمَن ضلَّ .
- رحلتك تحتاج فيها إلى مصباح يضيء لك طريقك وإلا ستتخبط في الظلمات .

ومن سلك طريقًا بغير دليلٍ ضلّ، ومَن تمسّك بغير أصلٍ زَلّ

- دليلك ومنهاجك في رحلتك : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

كُنْ فِي أُمُورِك كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا ... بالوَحْيِ لا بِزَخَارِفِ الهَذَيَانِ

وتدَبَّرِ القرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى ... فالعِلْمُ تَحتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ [1]

مصابيح الطريق ثلاثة

- كتاب الله عز وجل.
- صحيح سنة رسول الله ﷺ .
- فهم السلف الصالح .

كتاب الله عز وجل

مَن اهتدى بكتاب الله سار على الصراط المستقيم، والمنهج القويم، وعصمه الله من الفتن، وحفظه من المحن، وجعل في قلبه طمأنينةً، وفي صدره انشراحًا ، قال تعالى :

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

[الإسراء: ٩]

(١) البيتان مستلان من نونية ابن القيم

◀ قال ابن كثير : يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل.[1]

فمن أراد أن يسير إلى الله جل جلاله سيرًا صحيحًا مأمونًا فليبدأ أولاً بالقرآن ، قال تعالى :﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٨]

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِنۡ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾ [سبأ: ٥٠] فهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ هدي الرسول ﷺ إنما يحصُل بالوحي.[2]

◀ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هذا الكتابُ الذِي هدَى اللَّهُ به رَسولَكُم ، فَخُذُوا به تَهْتَدُوا. [3]

اتباع صحيح سنة النبي ﷺ

الطريق إلى الله مسدودة إلا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ واقتدى به في ظاهره وباطنه ، فأَتْباعُ الرسولِ ﷺ إذا قَعَدَتْ بهم أعمالُهم، قامَتْ بهم عزائِمُهُم وهِمَمُهم ومُتابعتُهم لنبيِّهم. كما قيل:

مَن لي بمثل سَيْرِكَ المُدلَّلِ ... تَمشِي رُويدا وتَجِي في الأوَّلِ[4]

قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣﴾ [المؤمنون: ٧٣]

وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٨)
(٢) زاد المهاجر إلى ربه لابن القيم (ص: ٤٥)
(٣) رواه البخاري (٧٢٦٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه به.
(٤) مدارج السالكين (٣/ ١٣٧)

◄ قال ابن القيم : فإن السُّنة حِصنُ الله الحصين الذي مَن دخله كان مِن الآمنين. وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين ، فالسُّنَّةُ تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم ويسعى نورها بين أيديهم إذا طُفِئَتْ لأهل البدع والنفاق أنوارُهم.[١]

◄ قال الزهري[٢] : الاعتصام بالسنة نجاة[٣].

◄ لأن السنة كما قال مالك : مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلَّف عنها هلك.[٤]

◄ ورحم الله الإمام أحمد – إمام أهل السنة – الذي أنشد :

دينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ ... نِعْمَ المَطِيَّةُ للفتى الآثارُ
لا ترغَبَنَّ عن الحديثِ وأهلِهِ ... فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولربما جهِلَ الفتى أثرَ الهدَى ... والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ[٥]

فهم السلف

السلف هم : أصحاب محمد ﷺ ومَن تبعهم بإحسان ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

كانوا على الهدَى المستقيم في الفهم والعلم والعمل ؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.[٦]

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٣٩)
(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، فقيه حافظ متقن، توفي سنة (١٢٥ هـ)
(٣) صحيح: أخرجه الدارمي(٩٦)، وابن بطة في الإبانة(١٥٩)، واللالكائي شرح أصول الاعتقاد (١٥، ١٥٩)
(٤) الخطيب في تاريخ بغداد(٨/٣٠٨)، والهروي في ذم الكلام(٨٨٥)
(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ٦٣)
(٦) لا بأس به ، أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨١٠) من طريق سنيد بن داد عن معتمر، وأخرجه الهروي في ذم الكلام (٦٤٧) من طريق عثمان بن سعيد عن موسى بن إسماعيل كلاهما(معتمر، موسى) عن سلام بن مسكين عن قتادة عن ابن مسعود به. وقتادة يدلس وقد عنعن ولم يعرف له سماع من ابن مسعود رضي الله عنه.
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٥٠٣) من طريق عمرو بن أبي قيس عن أبي سفيان بن عبد ربه عن عمر بن نبهان عن الحسن البصري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه به. وفيه عمر بن نبهان : ضعيف، والحسن يرسل كثيرا ويدلس وقد عنعن.
وقد أخرجه الآجري في الشريعة (١٦١١) بنحوه عن الحسن من قوله . وفيه أبو سفيان بن عبد ربه وهو مقبول.

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]

◄ قال السعدي : أي: ومَن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاء به ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله.[1]

إذا أردت الهداية :

◄ **فعليـــكَ** بآثار السَّلَف وإن رفضكَ الناسُ ، وإياك وآراءَ الرجال وإن زخرفوها لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم.[2]

◄ **واصبـــر** نفسك على السنة، وَقِف حيث وقف القوم، وقُلْ بما قالوا وكُفّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، فهم أصحاب نبينا ﷺ الذين اختارهم الله له، وبعثه فيهم، ووصفه بهم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩].[3]

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٠٢)

(٢) قاله الأوزاعي، وهو حسن عنه : أخرجه الآجري في الشريعة(١٢٧)، والهروي في ذم الكلام(١١٦) من طرق عن العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي قال: قال الأوزاعي.

(٣) صحيح : الآجري في الشريعة(٢٩٤)، وابن بطة في الإبانة(١٢١٦)، أبو نعيم في الحلية(٦/١٤٣)، واللالكائي (٣١٥)، والأصبهاني في الحجة(١/١١١) من طرق عن أبي إسحاق الفزاري عن الأوزاعي به.

وثائق السفر

كل سفر لابد فيه من وثائق ليُسمح لك بالسير والمرور
ووثيقتك في رحلتنا هذه هي : **هويتك ... عقيدتك ...**

فإن سألوك عن نَسَبِكَ فقل :

أَبِي الإِسْلاَمُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيْمِ

وإن سألوك عن شيخك ؟ فقل: رسول الله ﷺ .

وإن سألوك عن طريقك ؟ فقل : الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم (دين الإسلام).

وإن سألوك عن مقصدك ومطلبك ؟ فقل : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].[١]

اعتز بدينك وعقيدتك فأنت المسلم الذي أعزَّك الله ورفع قدْرك.

قال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

قال السعدي : المؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه الوهن ولا الحزن.[٢]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فأعَزَّنا اللَّهُ بالْإِسْلامِ، فمَهْمَا نَطْلُبْ الْعِزَّ بغيرِ ما أعزَّنا اللَّهُ به أذلَّنا اللَّهُ.[٣]

ومِمَّا زادَنِي فَخْرًا وَتِيهًا ... وكِدْت بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِك يا عِبَادِي ... وأَنْ صَيَّرْت أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا [٤]

---

(١) ذكره بنحوه ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٦٥)
(٢) تفسير السعدي (ص: ١٥٠)
(٣) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٩٣٥٤٣)، والدينوري في المجالسة(٨١٤) من طريق الأعمش. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٧١٠٢) من طريق أيوب بن عائذ الطائي. كلاهما عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب به.
(٤) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني المتوفي (١١٨٨ هـ) (٢/ ٤٧٥)

تكاليف الرحلة

تكاليف رحلتنا هي :

تضحية بالنفس، تضحية بالمال، تضحية بالأهل، تضحية بالوقت تضحية بالديار، تضحية بالشهوات، وتضحية بالجاه ، **مــن أجــل الوصــول إلى اللّه**.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾ [التوبة: ١١١]

فلو عرفتَ عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة مَن جرى على يديه عقد التبايع، لعرفت حقا قدر السلعة التي تملكها :

- فإن الذي اشترى : هو الله جل جلاله .
- والسلعة : هي نفسك ومالُك .
- والذي جرى على يده العقد : أشرف رسل الله وأكرمهم عليه (محمد ﷺ).
- والثمن : جنات النعيم والفوز برضا الله ، والتمتع برؤيته هناك .

قَد هيّؤوكَ لأمرٍ لو فَطِنتَ لهُ ... فاربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهملِ[1]

(١) حادي الأرواح لابن القيم (١/ ٨٦) بنحوه

احجز مقعدك

- أين مقعدك ؟
- في مقدمة الرحلة أم في المؤخرة ؟
- من السابقين أم من المتأخرين ؟
- أيُّهُم أنت ؟

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]

◄ قال وهيب بن الورد [١] : إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل.[٢]

- إن هَمَمْت فبادر
- وإن عزمت فثابر
- واعْلَم أنه لا يدْرك المفاخر مَن رَضِي بالصف الآخر.[٣]

- ربك يدعوك إلى المسابقة فيقول ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وقال ﴿سَابِقُوٓا۟﴾ وقال ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾.
- ويدعوك للمنافسة فيقول ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾.
- ويُثْني على السابقين ليُحفِّزك فيقول : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ .

---

(١) وهيب بن الورد بن أبى الورد القرشى المخزومى مولاهم: ثقة عابد. توفي سنة ١٥٣هـ
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤٤)
(٣) المدهش لابن الجوزي(ص: ٢٢٨)

ونعمت المسابقة والمسارعة والمنافسة

ولَمْ أجِدِ الإنسانَ إلا ابن سعيهِ ... فمَنْ كان أسْعَى كانَ بالمجدِ أجْدَرَا
وبالهمَّةِ العَلياء تَرقى إلى العُلى ... فمَنْ كـانَ أعْلَى هِمَّةً كـانَ أظْهَرَا
ولَمْ يـتأخَّـر مَـنْ أرادَ تـقـدُّما ... ولَـمْ يَـتـقـدَّم مَـنْ أرادَ تَـأخُّـرا

سبق أبو بكر إلى التصديق بالرسالة، فسُمِّي الصدِّيق .
وسبق عُكَّاشة إلى طلب الدعوة فلما طلبها غيره قيل له « سبقك بها عكاشة » .
وثبت أحمد في المحنة فصار إمامًا لأهل السنة .
وسبق البخاري إلى جمع الحديث الصحيح فصار كتابه أصح الكتب بعد القرآن .

كن مثلهم

ففي دَرجاتِ الآخرةِ الباقيةِ يُشْرَعُ التنافسُ وطلبُ العُلوِّ في مَنازِلها، والحرصُ عَلَى ذلك بالسعي في أسبابِهِ ، وأن لا يقنع الإنسانُ منها بالدُّونِ مَع قُدرتهِ عَلى العُلوّ.

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ ... فَلاَ تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ ... كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

كان رأس السابقين إلى الخيرات من هذه الأمة هو نبيها ﷺ، عَنْ عُقْبَةَ بن الحارث رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: « ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ [1] عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَنَا، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ » . [2]

(١) التبر: الذهب الخام
(٢) رواه البخاري (٨٥١)

وهذا أبو بكر رضي الله عنه الرجل الثاني بعد النبي ﷺ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟"، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟" قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ »، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ [2] ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: « نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ».[3]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ».[4]

---

(١) حسن: الدارمي(١٧٠١)، أبو داود(١٦٧٨)، الترمذي(٣٦٧٥) من طرق عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه به.

(٢) أي مَن دُعي من أي باب منها ، فإنه لا ضرورة عليه، لأن الغاية المطلوبة دخول الجنة.

(٣) رواه البخاري (١٨٩٧) ومسلم (١٠٢٧)

(٤) رواه مسلم (١٠٢٨)

وهذا بلال بن رباح رضي الله عنه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ : " يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلاَمِ مَنْفَعَةً، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ "

قَالَ بِلاَلٌ : مَا عَمِلْتُ عَمَلاً فِي الْإِسْلاَمِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.[1]

وهذا أبو الدحداح يشتري الجنة ببستان نخل يتصدق به

عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّ لِفُلاَنٍ نَخْلَةً ، وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا ، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِينِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ ». فَأَبَى ، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ : بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي . فَفَعَلَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي. قَالَ : فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ ». قَالَهَا مِرَارًا . قَالَ : فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ : يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ ، فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَتْ : رَبِحَ الْبَيْعُ ».[2]

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وهذا رَبِيعَة بْن كَعْب الْأَسْلَمِيّ رضي الله عنه، يعلمنا كيف تكون الأهداف

يقول رضي الله عنه: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: « سَلْنِي » فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ » قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ».[3]

---

(١) البخاري(١١٤٩)، مسلم (٢٤٥٨)

(٢) رواه أحمد (١٢٤٨٢)، وعبد بن حميد (٣٣٤)، وابن حبان (٢١٩٤) من طرق عن حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس به، وله شاهد في صحيح مسلم (٩٦٥) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه

(٣) رواه مسلم (٤٨٩)

تَصـدَّقَ بعضُ الأغنياء بمالٍ كثير فبلغ ذلك طائفةً من الصالحين فاجتمعوا في مكان وحَسَبُوا ما تصدَّقَ به مِن الدراهم، وصَلَّوا بَدَلَ كلِّ دِرَهمٍ تصدَّق به لله ركْعَةً. وهكذا يكون استباق الخيرات والتنافس في علو الدرجات.

كَذَاكَ الْفَخرُ يَا همَمَ الرِّجَال ... تَعَالَي فانظري كَيفَ التَّعالِي [1]

◄ عن الحسن البصري[2] قال : إذا رأيتَ الرجلَ ينافِسُكَ في الدنيا فنافسْهُ في الآخرة. [3]

◄ وقَالَ الْحَسَنُ : لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَبْدًا أَسْرَعَ إِلَيْهِ كَعَبْدٍ أَبْطَأَ عَنهُ. [4]

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤٩)
(٢) الحسن بن أبي الحسن، ثقة فقيه فاضل مشهور، يرسل ويدلس، توفي سنة (١١٠ هـ)
(٣) صحيح : الزهد لابن أبي الدنيا (٥٣٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٣٥١) من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن الحسن به
(٤) صحيح : رواه ابن المبارك في الجهاد (١٠٠)، وأحمد في الزهد (٥٩٢)، والطبراني في الكبير (٦٠٣٨) من طرق عن جرير بن حازم عن الحسن به,

عقبات البدايات

عقبات لكن تجاوزها ميسور
على مَن أقبل بصدق على الربّ الغفور

العقبة الأولى : الكفر باللّه والإشراك به

فالكفر باللَّه والإشراك به، أعظم موانع الهداية ، فلا يجتمعان أبدا مع الهداية

اسمع ماذا قال تعالى مبينًا استبعاد هداية الكافرين :

﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨]

◄ قال السعدي : هذا من باب الاستبعاد ، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق ؛ فهؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يُرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه ، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية.[1]

وقال تعالى محذرا أن الشرك سبب الخذلان : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٢]

◄ قال السعدي : أي: لا تعتقد أن أحدا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة ولا تشرك بالله أحدا منهم فإن ذلك داع للذم والخذلان، فمَن تعلّق بغير الله فهو مخذول قد وكل إلى مَن تعلّق به.[2]

فظهر من هاتين الآيتين أن الكفر والشرك أعظم موانع الهداية والسير إلى الله

(١) تفسير السعدي (ص: ١٣٧)
(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٥٥)

كيف نتجاوزها

تعلَّم أصول الإيمان والتوحيد وما يناقضها كالكفر والشرك بجميع أنواعها ، وذلك حمايةً لدينك.

عرَفْتُ الشَّرَّ لا للشَّرّ ولكنْ لتَوَقِّيه .. ومَنْ لا يَعرفُ الشرَّ مِن الخيرِ يقعُ فِيه.

◄ قال ابن القيم : فالله سبحانه :

- يُحبُّ أن تُعرف سبيلُ أعدائه لتُجتَنب وتُبغض
- كما يُحبُّ أن تُعرف سبيلُ أوليائِه لتُحبّ وتُسلَك.[1]

أغلق الأبواب التي يدخل عليك منها الكفر والشرك، ومن ذلك :

أ الاستخفاف بحق الله ،وعدم تعظيمه سبحانه حق تعظيمه.

ب اعتقاد أن الإسلام سبب للتخلف عن ركْب الحضارة والتقدّم.

ج الإعجاب بحضارة غير المسلمين.

د ضعف العلم الشرعي.

هـ تغليب النظرة المادية للأشياء.

و الانسياق وراء الشبهات والشهوات.

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٠٩)

العقبة الثانية : الرياء وضعف الإخلاص

⚠ **انتبه** العملُ بغير إخلاص كالمسافر يَملأ جرابَه رَمْلاً يُثقِّلُه ولا ينفعه.[1]

◄ قال ابن القيم : كما أن السماوات والأرض ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

فكذلك القلبُ إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يُرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود من قلبه.[2]

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ". [3]

قال سهل بن عبد الله التستري[4] : ما مِن ساعة إلاَّ واللهُ سبحانه يطّلع فيها على قلوبِ العبادِ فأيُّ قلبٍ رأى فيه غَيره سلّط عليه إبليس!.[5]

كيف نتجاوزها

- **اعرف** معنى الإخلاص واستحضره في جميع أعمالك.
- **احذر** من الرياء واعرف خطورته على أعمالك.
- **أخفِ** حسناتك – قدر المستطاع – كما تُخفي سيئاتك.
- **اعتنِ** بقلبكَ ، واقرأ دوما في أعمال القلوب وأهميتها.

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٩)
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (١/ ٣٠)
(٣) البخاري(٦٤٩٩)، مسلم (٢٩٨٧)
(٤) له كلمات نافعة ومواعظ حسنة، توفي سنة ٢٨٣ هـ
(٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص: ٤٣٩)

العقبة الثالثة : البدعة

يـا طالـب الهدايـة ، ليس كل طريق يوصلك إلى الله، إلا الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ القائل : " مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " [١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ". [٢]

فاعلم أن :

- مَن عبد ربه بهواه، لن يصل أبدا إلى الله ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]
- ترْك السنة ضلال ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ. [٣]
- البدع كلها مذمومة، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أن رَسُول اللهِ ﷺ قال : « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ». [٤]
- الاجتهاد في البدعة بُعْدٌ عن الله، كان أيوب السختياني يقول: ما ازدادَ صاحبُ بدعةٍ اجتهادًا ، إلا ازدادَ مِن اللهِ بُعْدًا. [٥]

كيف نتجاوزها

- احرص على تعلُّم السنة وتطبيقها في أقوالك وأفعالك وأحوالك.
- صاحبْ أهلَ السنة والزمهم ، وابتعد عن أهل البدع ولا تجالسهم.
- حبِّب الناس في السنة وأظهر لهم يسرها واعتدالها وتوسطها.
- حذِّر من البدع والمحدثات، وبيِّن آثارها الوخيمة على دين الناس ودنياهم.

---

(١) البخاري(٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(٢) البخاري(٧٢٨٠)
(٣) رواه مسلم (٦٥٤)
(٤) رواه مسلم (٨٦٧)
(٥) حسن: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٩) قال حدثنا عبد الله بن محمد، قال: ثنا أبو بكر بن راشد، قال: ثنا أبو سعيد الأشج، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن مخلد بن حسين، عن هشام بن حسان، عن أيوب السختياني به.

العقبة الرابعة : الجهل

الجهل عقبة كؤود بين العبد وبين الهداية، لأن الإنسان عدو ما يجهل، والجاهل أعمى لا يبصر الطريق ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر: ١٩، ٢٠]

◄ قال ابن القيم : الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض.

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله ... وأجسامُهم قبل القبور قبور
وأرواحُهم في وحْشَةٍ مِن جسومِهم ... فليس لهم حتى النشور نشور[1]

كيف نتجاوزها

- **تعلّم** قبل أن تقول أو تعمل ، فالعلم هو مصباحك الذي تهتدي به في طريقك.
- **احذر** الجهل بالأحكام الشرعية ، واحرص على حضور مجالس العلم والعلماء.
- **اتق** الله يعلمك الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

العقبة الخامسة : الاحتجاج بالقدر

بعض الناس حينما يُدعى إلى التوبة والهداية يعتذر بأن الله هو الذي قدّر عليه ذلك ؟ ويقول: القلوب بيد الله، وقد قدّر عليّ المعصية ، وإذا أراد لي الهداية فسوف أهتدي....

وهذه حجة إبليسية ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]

فالذي قدّر عليك الغواية فتح لك باب التوبة والهداية ، وأنزل الكتاب تبيانًا ، وأرسل الرسول بشيرًا ونذيرًا ، ووهبك عقلاً وقلبًا وسمعًا وبصرًا لتميز بين الحق والباطل ، وأعطاك قدرة ومشيئة... وتركك تختار الطريق ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٤٥)

كيف نتجاوزها

◄ قال ابن تيمية : ليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر العقلاء.[1]

قال رسول الله ﷺ : « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ »، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] الآيَةَ.[2]

العقبة السادسة : الشبهات

يتركون الواضح الجلي ويبحثون عن الغامض الخفي، يُعرضون عن الثوابت والأصول ويدندنون حول الزلات والسقطات .....

إنه دأب أهل الزيغ ومسلك أهل الريب ، وهم يفعلون ذلك ليفتنوا المؤمنين عن دينهم الحق بالتشكيك والتلبيس، ويفتنوا أتباعهم الجهال بحيل إمامهم إبليس،

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]

كيف نتجاوزها

احذرهم ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ ».[3]

لا تلتفت إلى الشبهات التي تُثار ضد الإسلام ، فالحق واضحٌ أبلج والباطل لجلج.

احذر المواقع والقنوات والصفحات التي تبثُّ السموم والشبهات ، ليضلوك عن طريق الحق.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩)
(٢) رواه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥)

- **استعذ** بالله من وساوس الشيطان، ولا تسترسل مع خطراته.
- **سل** أهل العلم فيما يشكل عليك من أمور دينك.

العقبة السابعة : الخوف من التبعات (التكاليف)

اعتقـاد أن طريـق الهدايـة : تشدُّد .. وتَزَمُّت .. وحرمان .. كآبة .. أحزان .. هواجس شيطانية منعت الكثير من السير في طريق الهداية.

كيف نتجاوزها

- أن تعلم أنَّ :

الهدايـة ليست تحريمًا للطيبات، فإن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

طريـق الهداية طريق اطمئنان وسكون وفرح نفسي وطمأنينة يقذفها الله في قلوب المهتدين .

◀ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن في الدنيا جنّة مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.[١]

◀ قال ابن القيم : ومثقالُ ذرةٍ مِنْ لذةِ الإيمان لا يعدلها أمثال الجبالِ مِن لذَّاتِ الدُّنيا الفانية.[٢]

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢)
(٢) روضة المحبين (ص: ١٦٥) بتصرف

العقبة الثامنة : طول الأمل والتسويف

سأتوب : غدًا .. بعد التخرّج .. بعد الزواج .. رمضان القادم.... كلمات يرددها الكثير

إنهم يركبون مركب التسويف في بحر الآمال والأحلام، حتى تفاجؤهم أمواج الأجل فيخرجون من الدنيا بلا توبة ، فيندمون حين لا ينفع الندم ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦]

يا مَن بدنياه انشغل ... وغـرَّه طـول الأمـل
المـوتُ يأتي بغتـة ... والقبرُ صندوق العمل

قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ ".[1]

◄ قال الحسن البصري : ما أطال عبدٌ الأملَ إلا أساء العمل.

قال القرطبي[2] معلقًا : وصدق رحمه الله ! فالأمل يُكْسِل عن العمل ويورث التراخي والتواني ، ويُعقب التشاغلَ والتقاعس ، ويُخلد إلى الأرض، ويميل إلى الهوى.
وهذا أمرٌ قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحثُّ على المسابقة.[3]

◄ قال ابن القيم : مفتاح كلّ شرٍّ حبّ الدنيا وطول الأمل.[4]

(١) البخاري(٦٤٢٠)
(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣)
(٤) حادي الأرواح لابن القيم (ص: ٦٩)

كيف نتجاوزها

إذا كنت تريد الهداية : * انسحب من (قوافل المسوِّفين) .

* انضم إلى قوافل المتسابقين إلى جنات النعيم .

اجعل منهجك في الحياة :

إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء،
وخُذْ مِن صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.[1]

العقبة التاسعة : التثبيط والسخرية والاستهزاء

إنها ثلاثية الصَّدِّ والتخويف والتنفير لصدِّ السائرين عن السير إلى العلي القدير

في طريقك إلى الله ستسمع تخذيلاً وتثبيطًا : ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ١٨]

نزلت هذه الآية في ناس من المنافقين كانوا يُخوِّفون الناس من دعوة محمد ﷺ ويصرفونهم عنها.[2]

سيسخرون منك ويستهزؤون بك : عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] الآيَةَ.[3]

ما أكثرَ المعوقين والمخذِّلين في زمن الغربة ، فانتبه ولا يصدَّنَّك عن السير إلى ربك أحد.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) من كلام عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عقب قوله ﷺ له " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ".
(٢) حسن : رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٣٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به
(٣) رواه البخاري (١٤١٥) ومسلم (١٠١٨)

كيف نتجاوزها

لا تلتفت إليهم وغُض الطرف عنهم ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.[1]

اعلم أن العبرة بمن يضحك في النهاية :

◄ المجرمون : سخروا في البداية ﴿ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾
فبكوا في النهاية ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾

◄ المهتدون : صبروا في البداية ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾
ففازوا في النهاية ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾

العقبة العاشرة : غربة الدين وقلة المُعِين

◄ قال ابن القيم : مِن أقوى العوارض التي تعترضُ السائرَ إلى الله ، عارضُ وحشةِ التفرد.[2]

إن طول الطريق مع ما فيه من عقبات ومشاق يصيب الكثيرين بالضعف والوهن، فإذا أضيف إليه قلة المعين والناصر، وتخلِّي الأحباب والأصحاب ، فالنتيجة أحد أمرين :

إما التراجع والفتور والبحث عن مبررات القعود.

وإما الصبر والتسلي بالسابقين في الطريق والحرص على اللحاق بهم.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦)
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨)

كيف نتجاوزها

تذكـــر ما للغرباء عند الله ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ».[1]

إنما هو صبر ساعة؛ كلُّ ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة.[2]

◄ قيل للحسن البصري : سَبَقَنا القومُ على خيلٍ دُهْمٍ ونحن على حُمُرٍ مُعَقَّرةٍ !.
فقال : إذا كنتَ على طريقِهم فما أسرعَ اللِّحاقَ بِهِم.[3]

العقبة الحادية عشرة : ضعف الشخصية

ضعيف الشخصية لا يستطيع أن يأخذ قرارًا طوال حياته وإنما يظل مترددًا ومتخوفًا، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، حتى يخرج من الدنيا صفر اليدين

ومَن يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر

وهذه صفة المنافقين ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً ».[4]

كيف نتجاوزها

قال ﷺ : « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ ».[5]

كن حازمًا مع نفسك ولا تتردد خاصة في أمور دينك.

---

(١) رواه مسلم (١٤٥)
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥)
(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٣)
(٤) رواه مسلم (٢٧٨٤) (العائرة) المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع (تعير) أي تتردد وتذهب.
(٥) رواه مسلم(٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

العقبة الثانية عشرة : التقليد الأعمى والقدوات التافهة

كم هلك إنسان وضيَّع نفسه بسبب التقليد الأعمى لغيره واتباعه لقدوات تافهة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٤]

حتى التقليد في فعل الفواحش والمنكرات : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨]

كيف نتجاوزها

لا تكن إمعة فتهلك. قَالَ عَبْدُ اللهِ: "لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً"، قَالُوا: وَمَا الْإِمَّعَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ: يَقُولُ: "إِنَّمَا أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنِ اهْتَدَوْا اهْتَدَيْتُ، وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ، أَلَا لِيُوَطِّنْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى إِنْ كَفَرَ النَّاسُ أَنْ لَا يَكْفُرَ".[1]

اعلم أن المسئولية فردية ، وأنك ستقف بين يدي الله وحدك ويحاسبك عن أعمالك ولن ينفعك أحد. ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٥].

العقبة الثالثة عشرة : عدم وضوح الغاية والهدف

حدد هدفك حتى تستطيع أن تحدد وجهتك ، فعدم وضوح الهدف والغاية سبب للارتجالية والفوضى، وبالتالي يحدث التيه والضلال والقعود عن السير إلى الله والتقهقر إلى الوراء.

كيف نتجاوزها

ليس المهم أن تجري ، ولكنَّ المهم أن تصل ، ولن تصل إلا إذا حدَّدت ماذا تريد ، وإلى أين تسير.

---

(١) صحيح: أبو نعيم في الحلية(١/ ١٣٦) الطبراني في الكبير(٨٧٦٥)، أبو داود في الزهد(١٣٣)، الخرائطي في مساوئ الأخلاق(٢٧٨)، وابن بطه في الإبانة(٢٩) من طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه.

العقبة الرابعة عشرة : الانغماس في المعصية واتباع الهوى

كيف ينطلق إلى ربه ويسير ، مَن هو لشهواته وهواه أسير ؟

التعاسة لعبد عاش لشهواته ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ».[1]

اتباع الهوى سبب للتيه والضلال :﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]
فلا أحد أضل ممن اتبع هواه : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]

ومتى أسرت الذنوب والمعاصي القلب أضعفت سيره إلى الله والدار الآخرة، أو أعاقته، فلا تدَعُهُ يخطو إلى الله خطوةً.
هذا إن لم تردّه عن وجهته إلى ورائه ! فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكِّس الطالب.

والقلب إنّما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيّره. فإن زالت بالكلّية انقطع عن الله انقطاعًا يبعُد تداركُه، والله المستعان.[2]

كيف نتجاوزها

حطم قيودك ، وفِرّ من هواك ، وانطلق إلى ربك ومولاك ، فقد ناداك : « يَا ابْنَ آدَمَ ، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ ، وَامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ ».[3]

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧)
(٢) الداء والدواء (١/ ١٧٨)
(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٧٨). وله شواهد من حديث أبي ذر ﷺ رواه مسلم (٢٦٨٧). ومن حديث أبي هريرة ﷺ رواه البخاري(٧٤٠٥) ومسلم(٢٦٧٥). ومن حديث أنس ﷺ رواه البخاري (٧٥٣٦)

العقبة الخامسة عشرة : الاغترار بحلم الله والاتكال على سعة الرحمة

من الناس من يتمادى في المعاصي ، ويسرف على نفسه ، وينسى التوبة والرجوع إلى الله ، فإذا عوتب أو زُجر عما هو فيه ردّ قائلا : إن الله غفور رحيم، ولسان حاله :

وكَثِّرْ ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدومُ على كريم

ويستدل بقول الله : ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩]

ونسي أن بعدها مباشرة : ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٥٠]

ويستدل جهلاً بحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ" .[1]

◄ ويرد الإمام الطيبي[2] على هذا فيقول : هذا الحديث ليس تسلية للمنهمكين في الذنوب، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن الوقوع في الذنوب؛ بل ورد بيان عفو الله عن المذنبين، وحسن التجاوز عنهم، ليعظموا الرغبة في التوبة والاستغفار.[3]

كيف نتجاوزها

رحمة الله واسعة لكنّ الله يعطيها من يستحقها {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦]

إذا علمت سعة رحمة ربك ومغفرته، فالواجب عليك المسارعة إلى أسباب نيلها {إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]

(١) مسلم (٢٧٤٩)
(٢) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، توفي سنة (٧٤٣هـ)
(٣) شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٨٤٠)

العقبة السادسة عشرة : نظر المرء لمن هو دونه في الدين

من معوقات السير في طريق الهداية : أن ينظر الشخص إلى من هو دونه في الدين، فيقول: أنا أصلي الصلوات الخمس ، وفلان يقطع الصلوات

وإذا كان يقطع الصلوات قال: أنا أفضل من فلان؛ فلان لا يصلي أبدًا

وإذا كان لا يصلي أبدًا، قال: أنا أفضل من البوذي وعابد البقر...

كيف نتجاوزها

إن الله جعل لنا قدوة نقتدي به في جميع أمورنا ، وأمرنا باتباعه فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١]

فقدوتنا هو النبي ﷺ.

انظـــر إلى من هو أعلى منك في الدين، قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا[1] ».[2]

يقول إِبْرَاهِيم الحربي[3] : لقد صحبتُ أحمد بن حنبل عشرين سنة صيفًا وشتاء وحرًّا وبردًا وليلاً ونهارًا فما لقيتُه في يوم إلا وهو زائدٌ على ما كان عليه بالأمس.[4]

---

(١) السفساف: الأمر الحقير والرديء مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ ضِدُّ المعالِي والمكارِم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٧٤)

(٢) صحيح : الطبراني في الكبير(٥٩٢٨)، وأبو نعيم في الحلية(٣/٢٥٥)، والحاكم(١٥٢،١٥١)، والبيهقي في الكبرى(٢٨١٨) وفي الشعب(٧٦٤٧)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق(٦) والخرائطي في مكارم الأخلاق من طرق عن أبي حازم (سلمة بن دينار) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.
وله شاهد حسن من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق(١٢٠) والأوسط (٦٩٠٦)، وابن الأعرابي في معجمه(٢٠٠٤) من طريق (مبارك بن فضالة ومحمد بن صالح المدني) كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه به.

(٣) أبو إسحاق البغدادي، إمام حافظ صاحب تصانيف، توفي سنة (٢٨٥ هـ)

(٤) طبقات الحنابلة (١/ ٩٢)

العقبة السابعة عشرة : الانشغال بالدنيا والخوف على فواتها

◄ على قدْر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها ، يكون تثاقلُه عن طاعةِ الله وطلبِ الآخرة.[١]

◄ وقال ابن القيم : والسُّكْر بحب الدنيا أعظم من السُّكْر بشرب الخمر بكثير وصاحب هذا السُّكْر لا يفيق منه إلا في ظلمة اللحد ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من السُّكْر وأنه أشد من سكر الخمر.[٢]

عن عَمْرو بْن عَوْفٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال « وَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ« وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ».[٣]

◄ قال الحافظ ابن حجر[٤] : فيه أن المنافسة في الدنيا قد تجرُّ إلى هلاك الدين.[٥]

◄ قال القرطبي : معنى تلهيكم : تشغلكم عن أمور دينكم ، وعن الاستعداد لآخرتكم.[٦]

كيف نتجاوزها

قال ﷺ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ».[٧]

◄ قال ابن رجب : إذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة، ولا وطنًا، فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين:

- إما أن يكون كأنه غريب مقيم في بلد غربة، همُّه التزود للرجوع إلى وطنه
- أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة، بل هو ليله ونهاره، يسير إلى بلد الإقامة.[٨]

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٦)
(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص: ٢٢٠)
(٣) رواه البخاري (٦٤٢٥) ومسلم (٢٩٦١)
(٤) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)
(٥) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٦٣)
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٢/ ١٤٤)
(٧) رواه البخاري (٦٤١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٨) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٣٧٨)

العقبة الثامنة عشرة : ضعف الإرادة وفقدان العزيمة ودنو الهمة

من الناس من يفكّر في الاستقامة ويتمنى أن يستقيم ، ويحسد الناس المستقيمين على ما هم عليه من خير، لكنه لا يتحرك ولا يتقدم ، وما ذلك إلا لضعف إرادته ودنو همته.

كيف نتجاوزها

اعلم أن مجرد نية التوبة دون تحقيق لها لا يَنفع، والعبرة بالعمل.

تذكر أن الموت يأتي بغتة وعلى حين غفلة، فإذا جاء فكما أنه لا يتقدم فإنه لا يتأخر.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

ليس الالتزام بالتمني وإنما الالتزام ما وقر في القلب وصدقه عملك.

العقبة التاسعة عشرة : الاشتراط على الله

البعض يشترط ويقول : أستقيم ولكن .. ألتزم ولكن .. أهتدي ولكن .. أتوب ولكن.

قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج: ١١]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ.[1]

(١) رواه البخاري (٤٧٤٢)

كيف نتجاوزها

ربك غني عنك وأنت المستفيد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ ﴾ [فاطر: ١٥، ١٦]

﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾ [الأنفال : ٧٠]

العقبة العشرون : الاحتجاج بواقع بعض الملتزمين

ومن عقبات وموانع السير إلى الله : الاحتجاج بواقع بعض الناس الذين ظاهرهم الالتزام، لكنهم عندهم معاصٍ وإساءات، فيقول لك: انظر هذا فلان الملتزم رأيته ينظر إلى النساء، أو أنه يأكل الحرام ، أو أنه ليس بنظيف ، أو أن فلانة محجبة ، لكنها تفعل من وراء الحجاب أشياء...

كيف نتجاوزها

أخطاء الناس ليست حجة على الشريعة، وإنما الشريعة هي الحجة على الناس .

لا تُعلِّق هدايتك بأحدٍ من الأحياء، فإذا ضلّ ضللتَ معه ، ولكن كن دائمًا مع القرآن والسنة تدور معهما حيثما دارا .

اعرف الرجال باتباعهم للحق ، ولا تعرف الحق بالرجال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥] .

الملتزمون بشر مثلك يخطئون ويصيبون، وليسوا ملائكة معصومين.

لوازم الانطلاق

البدايات لها تأثير في النهايات.
ومن ضبط البدايات سلمت له النهايات.
وعلى قدر تصحيح البدايات تصحُّ النهايات.

بين يديك مقومات ومؤهلات :

إذا اجتمعت فيك أُعنتَ بإذن الله على السير في طريق الهداية منها :

أولاً كن صادقًا مع اللَّه في طلب الهداية

اعلم أن رحلة الهداية بدايتها صدق ، ونهايتها فوز.

على قدر صدقك ورغبتك في الهداية وقتَ البداية ،

على قدر ما تجد التوفيق في الطريق حتى النهاية ، والإمداد بحسب الاستعداد.

وعلى قدر صدقك في الطلب ... يأتيك المدد : « إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ ».[1]

فإن صدقت مع الله في رحلتك، وبدأت طريق سيرك إلى الله وشددت الرحال إلى بابه فلن يَرُدَّك خائبا، قال رسول الله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ».[2]

---

(١) صحيح: رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٥١) والنسائي في المجتبى(٤/ ٦٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار(٢٨٩١) من طرق عن ابن جريج، قال: أخبرني عكرمة بن خالد، عن ابن أبي عمار، عن شداد بن الهاد به.
(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

اعلم أن:

- كلَّ عمل صالح ← منشؤه الصدق
- وكل عمل فاسد ← منشؤه الكذب
- واللهُ تعالى يُثيبُ الصادقَ ← بأن يُوفِقَه للقيامِ بمصالحِ دنياه وآخرته
- ويُعاقب الكذاب ← بأن يُقعده ويُثبطه عن مصالحه ومنافعه

فما استُجْلِبت مصالح الدنيا والآخرة بمِثْل الصدق ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب.[1]

إلى متى تضطربُ ؟

وإلى متى تراوحُ في مكانِك ؟

وإلى متى تتردَّد في اتخاذِ قرارك ؟

إذا كنتَ ذا رأي فكنْ ذا عزيمةٍ ... فإنَّ فساد الرأي أنْ تتردَّدا[2]

◀ قال ابن القيم : كلُّ طالب أمر من الأمور فلا بد له من:

- تعيين مطلوبه.
- ومعرفة الطريق الموصل إليه.
- والأخذ في السير إليك.

فمتى فاته واحد من هذه الثلاث : لم يصح طلبُه ولا سيره.[3]

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٣٦) بتصرف
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٣٠٥)
(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٠٥)

ثانياً أحسن الظن باللَّه

كـن حسَنَ الظن بربك ، فقد حرّك الأرض لعبْدٍ قتل مائة نفس حين أقبل عليه ، فكيف يخذلك ، أو يُغلق الباب في وجهك وقد أتيته تائبًا ؟

إياك واليأس والقنوط

◄ قال ابن القيم : لا تَسـأمْ مِن الوقوف على الباب ولو طُردتَ، ولا تقطـع الاعتذارَ ولو رُددتَ ؛ فإن فُتـح البابُ للمقبولين؛ دونك فاهجُم هجوم الكذابين، وادخُـل دُخولَ الطُّفيلية.[1]

وإذا رأيـتَ البـاب مسـدودًا فـي وجهـك فاقنعْ بالوقوف خارجَ الدار مستقبَلاً الباب سائلاً مستعطيًا فعسى ؛ ولكن لا تولِّ ظهرَك وتقول : ما حِيلتي وقد سُدَّ البابُ دوني.[2]

لقد حثَّ الله جل وعلا عباده على الرجاء وحسن الظن به وعدم اليأس من رحمته، فقال في كتابه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال تعالى : ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]

◄ قال ابن القيم : كلما كان العبدُ حسَنَ الظن بالله ، حسَنَ الرَّجاءِ له، صادقَ التوكلِ عليه، فإنَّ الله لا يُخيِّبُ أمَلَه فيه البتة، فإنه سبحانه لا يُخيِّبُ أمَلَ آملٍ، ولا يُضيِّعُ عملَ عاملٍ.[3]

إلَـهِي لا تُعَذِبْنِي فَإِنِّي ... مُقِـرٌّ بالـذّي قَـدْ كـانَ مِنِّي
وَمَـا لِيْ حِيلَةٌ إلاَّ رَجائي ... وَعَفْوُكَ إنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي
فكَمْ مِنْ زَلّةٍ لِي في البَرايَا ... وَأَنْـتَ عَـلـيَّ ذُوْ فَـضْـلٍ وَمَـنِّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ ».[4]

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٥١)
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٦)
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٦٩)
(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٩١) وابن حبان (٦٣٩)، وأصله في البخاري(٧٤٠٥)، ومسلم(٢٦٧٥)

◄ قال القرطبي : ينبغي للتائب والمستغفر، وللعامل أن يجتهد في القيام بما عليه من ذلك، موقنًا أن الله تعالى يقبل عمله، ويغفر ذنبه، فإنَّ الله تعالى قد وعد بقبول التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة.[1]

استمع إلى نداء ربك

« يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي
يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي
يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ».[2]

انتبه : هناك فرق بين حسن الظن والغرور

فإن دعا حسن الظن إلى العمل وحثَّ عليه، وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة، والانهماك في المعاصي فهو غرور.

ثالثاً كن ذا عزيمة

البداية عزم أكيد، ثم استعانة صادقة بالولي الحميد ، فإذا كان عزمك أكيد ورأيك سديد بلّغك الله ما تريد ، وأعطاك المزيد ، ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

اعزم ✓ وتوكل ✓ وانطلق ✓

الشجاعة الحقيقية في اتخاذِ القرارِ لتنقذ نفسك من القلقِ والاضطرابِ ؛ ومعلوم أن نقطة البداية هي الأشق ، وانطلاقة البداية هي الأصعب، وهذا هو عين الابتلاء من الله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١]

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٥)

(٢) حسن : رواه الترمذي (٣٥٤٠) من طريق كثير بن فائد ، وابن شاهين في الترغيب (١٧٩) من طريق أبي قتيبة (سلم بن قتيبة) كلاهما عن سعيد بن عبيد عن بكر بن عبد الله المزني عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

قل دائمًا : « اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي ، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي »[1]

◄ قال ابن رجب : الخير كلُّه مَنُوطٌ بالعزيمة الصادقة عَلَى الرشد، وهي الحملة الأولى التي تَهزم جيوشَ الباطل، وتُوجب الغلَبَة لجنودِ الحقِّ.[2]

العزيمة عَلَى الرشد مبدأ الخير، فإن الإنسان قد يعلم الرشد وليس له عليه عزم، فَإِذَا عزم عَلَى فعله أفلح.

والعزم نوعان:

أحدهما: عزم السائر عَلَى الدخول في الطريق، وهو من البدايات.

والثاني: العزم عَلَى الاستمرار عَلَى الطاعات بعد الدخول فيها، وعلى الانتقال من حال كامل، إِلَى حال أكمل منه، وهو من النهايات.[3]

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد(٤٧٦)، والبغوي معجم الصحابة(٥٢٣)، وابن حبان (٨٩٩)، وأبو نعيم معرفة الصحابة(٢١٩١) من طريق إسرائيل بن يونس.
وأخرجه ابن أبي شيبة(٢٩٣٥٢)، والنسائي عمل اليوم(٩٩٨)، من طريق زكريا بن أبي زائدة. كلاهما(إسرائيل، زكريا) عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن عمران بن حصين به. فهو من مسند عمران.
وأخرجه عبد بن حميد(٤٧٦)، والنسائي في عمل اليوم(٩٩٣) وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٣٥٤) ، وابن حبان (٨٩٩) ، والحاكم (١٨٨٠) والبيهقي في الدعوات الكبير(٢١٤) من طريق إسرائيل بن يونس، والنسائي (٩٩٣ م) من طريق عمرو بن أبي قيس، كلاهما(إسرائيل، عمرو) عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن عمران، عن أبيه، به. فجعلوه من مسند حصين. وهذا لا يضر
(٢) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٤٨)
(٣) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٤٤)

رابعاً بادر ولا تؤجل

ماذا تنتظر ..

هيا ابدأ ..

ما الذي تنتظره، فالفرصة أمامك كي تسير إلى مصدر سعادتك العاجلة والآجلة ..

بادر قبل فوات الأوان ، عجِّل قبل مجيء الأجل.

قال تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ٢١]

هذا رسول الله ﷺ يحثك على اغتنام الفرصة واستباق الخيرات، فيقول : « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ».[1]

طوبى لمَن بادر عمره القصير، فعمَّر به دار المصير، وتهيأ لحساب الناقد البصير قبل فوات القدرة وإعراض النصير ، قال ﷺ: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ ».[2]

أيها السائر إلى الله :

إذا عزمت فبادر، وإذا هممت فثابر، واعلم أنه لا يدرك المفاخر، من رضي بالصف الآخر.

العلم لا يحصل إلا بالنصب، والمال لا يجمع إلا بالتعب، واسم الجواد لا يناله بخيل، ولا يلقّب بالشجاع إلا مَن وثب وثبة الأسد.

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقبال قتّال [3]

---

(١) حسن: رواه الحاكم (٧٨٤٦) من طريق عبدان، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل(١١١) من طريق عبدالله بن المبارك كلاهما(عبدان، ابن المبارك)عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) رواه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مواعظ ابن الجوزي (ص: ٧٩)

خامساً تب توبةً نصوحاً

مُدَّ إلى مولاك يدَ الاعتذار، وقمْ على بابه بالذل والانكسار، وارفع قصة ندمك، مرقومة على صحيفة خدِّك بمداد الدموع الغزار، وقل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣].[١]

لو قام المذنبون في هذه الأسحار، على أقدام الانكسار، ورفعوا قصص الاعتذار؛ مضمونها: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٨٨]

لبرز لهم التوقيع عليها: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].[٢]

سادساً كن ذا همةٍ عاليةٍ

◄ قال ابن القيم: لابد للسالك مِنْ هِمَّةٍ تُسيِّرُه وتُرقِّيه، وعِلْمٍ يُبصِّرُه ويَهدِيه.[٣]

◄ قال ابن رجب: صاحب الهمة العالية والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الزاكية التي لا تفنى، ولا يرجع عن مطلوبه ولو تلفت نفسه في طلبه، ومَن كان في الله تَلَفُه كان على الله خَلَفُه.[٤]

◄ وقال ابن القيم: المطلب الأعلى موقوف حصوله على:

- همة عالية
- ونية صحيحة.[٥]

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٨٥)
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٥)
(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٥/ ١٣٨)
(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤٤)
(٥) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤٤)

سابعاً لملم شتاتك ووجِّه طاقاتك

أيها السائر عندك طاقات ولديك قدرات وفيك خير كثير ، فإياك ثم إياك أن تستصغر نفسك وتقول: أنا لا أصلح ؛ جرَّبتُ كذا مرة وفشلت، حاولت التوبة ولم أفلح، تركت الذنب ثم سرعان ما عُدت.

أنتَ تصلح يقينًا .. وفيكَ خيرٌ كثيرٌ .. وستنجح .. أتدري لماذا ؟

لأن الله فتح الباب لمن هو أعظم منك جرمًا وأكثر ذنوبًا حين عادوا إليه،

بعد أن ذكر الله كُفْر من اعتقد أن عيسى هو ابن الله وأن الله ثالث ثلاثة، قال سبحانه فاتحًا لهم باب التوبة ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤]

الباب مفتوح لأي أحد مهما كان ؛ فالخير لازمٌ لمن تحرّاه، والشرُّ ذاهبٌ عمن توقَّاه.

ثامناً حدِّد وجهة السير

يا طالب الهداية .. يا طالب السعادة .. يا من تريد الجنة

الناس ثلاثة :

- تائه عن طريقه ... ومتشتت في سيره ... وسائر إلى ربه بصير بطريقه

فمن أي الأصناف أنت ؟

فلا تكن من التائهين الذين قال قائلهم :

جئتُ لا أعلمُ مِن أين ولكنيِّ أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُدَّامي طريقًا فمشيتُ
سأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طريقًا لست أدري؟
ولماذا لست أدري لست أدري؟.

س : إلى مَن نسير ؟

- **إلى اللَّه** الواحد الأحد :{ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ } [الذاريات: ٥٠]
- **إلـــى اللَّه** .. الذي خلقني .. ورزقني .. وأعطاني كل النعم .. والذي بيده سعادتي وشقاوتي .. والذي سأرجع إليه بعد موتي وسأقف بين يديه وحدي.

حدد وجهتك ولا تشتِتْ نفسَك وانطلق

كما فعل قاتل المائة « فَانْطَلَقَ » فحَرَّك اللهُ له الأرض ليكون **أقرب إلى النجاة بشبر.**

- قُلْهَا كما قالها أبوك إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩]
- وأعلنها صريحة كما أعلنها موسى عليه السلام : ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه : ٨٤]

◀ قال ابن القيم : وأصل الهجرة هجرة القلب إلى الله، وهي هجرة تتضمن (من) و (إلى)

- فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته
- ومن عبودية غيره إلى عبوديته
- ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه.

وهذا بعينه معنى الفرار إليه قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه.[١]

(٢) زاد المهاجر إلى ربه (ص:١٦ – ١٧) باختصار

تاسعاً وطِّن نفسك على الصبر وطول النَّـفَس

مَن صَبَر على حاجةٍ ظَفَرَ بها ، ومَن أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له.[1]

اعلم أن أعظم ما يعينك على السير إلى الله هو الصبر ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣]

الزم الصبر وطول النَفَس في تحصيل أي خير ولا تستعجل ، فإنه من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

◄ قال ابن القيم : المصالحُ والخيراتُ واللَّذَّات والكمالات كلُّهَا لا تُنال إلا بحظٍّ من المشقَّة ولا يُعبر إليها إلا على جِسْرٍ من التَّعب

وقد أجمع عقلاءُ كلِّ أُمَّةٍ على أن النَّعيم لا يُدْرك بالنعيم

وأنّ مَن آثر الرَّاحة فاتَتْهُ الرَّاحة

وبحَسَب ركُوب الأهْوال واحتمال المشاق تكون الفرحةُ واللذة

فلا فرحةَ لمَن لا هَمَّ له

ولا لذَّةَ لمَن لا صَبْر له

ولا نعيمَ لمَن لا شقاء له

ولا راحَة لمَن لا تَعب له

بل إذا تَعِب العبْد قلِيلا استراح طويلا

وإذا تحمَّل مشقةَ الصَّبْر ساعة قاده ذلك لحياة الْأَبَد ، وكلُّ ما فيه أهلُ النَّعيم الْمُقِيم فهوَ صَبر ساعَة وَالله الْمُسْتَعَان ولا قوَّة إلَّا بالله ،

وكلما كانَت النُّفُوسُ أشرف والهمّة أعلى ، كان تَعب البدن أوْفَر وحظُّه مِن الرَّاحَة أقلّ ، كَمَا قَالَ المتنبي:

وإذا كانَت النُّفُوس كبارًا ... تعبت فِي مرادها الْأَجْسَام[2]

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (ص: ٦٩)
(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٥)

إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل

سُئِل : متى يجد العبد طعم الراحة ؟

قالَ : عند أوَّلِ قَدَمٍ يَضَعُها فِي الجَنَّة.[١]

عاشراً جهز العدة للسفر قبل المسير

تجهَّز لسفرك واستعد لرحلتك ، فإنك سائر إلى الله، وأعظم ما تتجهز به لسفرك (قلبك) لأن القلب هو المحرك لكَ في سفرك ، لأن مَفَاوِز الدنيا تُقْطع بالأقدام، ومَفَاوِز الآخرة تُقْطع بالقلوب.[٢]

تأمل قول الله عن إمام الحنفاء لما أعلن سفره إلى الله : ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الصافات: ٨٤]

ولا نجاة لأحد ولا وصول لأحد إلى الله إلا بذلك كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]

وتأمل قوله : ﴿ أَتَى ٱللَّهَ ﴾، فيحتاج العبد قبل سفره أن يَلُمَ شعث قلبه على ربه ثم يعزم على المسير إلى ربه.

◀ يقول ابن القيم : القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر
فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه
فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران
ومتى قطع الرأس مات الطائر
ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر
فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ ، والخوف سائقٌ ، والله الموصلُ بمَنِّهِ وكرَمِه.[٣]

(١) طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى، (المتوفي ٥٢٦ هـ) (١/ ٢٩٣)
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٢٩٤)
(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)

حادي عشر تعلم مهارة قيادة النفس

اعلم يا طالب الهداية أن نفسَك هي أغلى ما تملك ، لأنها الثمن الذي تدفعه لتملك جنة عرضها السماوات والأرض ، فتعلَّم كيف تسوسُها وتقودها لتصل إلى هدفك

واعلم أن : أعجزَ الناس مَن عجز عن سياسة نفسه ، ومَن ساس نفسَه ساد ناسه[1].

والنَّفْسُ كَالطِفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

◄ قال ابن القيم : لا ينتفع بنعمة الإيمان والعلم إلا مَن عرَف نفسَه ووقف بها عند قدْرها ولم يتجاوز ما ليس له[2].

◄ وتأمل قول الإمام الكبير محمد بن المنكدر[3] : كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت[4].

كيف أسُوسُ نفسي ؟

الاستعانة بالله، وسؤاله زكاة النفس، فاجعل دعاءك :

« اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا »[5].

إذا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ الله للفَتَى ... فأوَّلُ ما يَجْنِي عليْهِ اجْتِهادُهُ

التدرج مع النفس وسوقها برفق

من أنجع الأسباب، وأفضل الطرق، لسياسة النفس، وتربيتها على الخير الديني، والدنيوي سلوك سبيل التدرج فيما يراد جلبه ، أو يراد دفعه .

ومن رام إصلاح نفسه جملة واحدة ، وحاول سياستها سياسة عامة أعياها، ووصل إلى حدّ اليأس معها لأن النفس شَرُود ، ومن طبيعتها حبّ التفلت.

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي(ص: ٢٣٤)
(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٣٨)
(٣) ثقة، توفي سنة (١٣٠ هـ)
(٤) صفة الصفوة (١/ ٣٧٨) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥)
(٥) رواه مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

فالتدرج منهج نبوي في سياسة النفوس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[1]

وعائشة رضي الله عنها قالت : إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا..[2]

فدرّب النفس على هذا الأصل ، وتلطَّف بها، لتصبر على ما قد حُمِّلت من تكاليف.

الجدية مع النفس

كُن جادًّا مع نفسك في تلقي أوامر الشرع وتنفيذها

◄ قال ابن رجب : اعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عَرَفَتْ منك الجدّ جدَّت، وإن عرَفت منك الكسل طمِعتْ فيك، وطلبت منك حظوظَها وشهواتها.[3]

فالجدية شعار الصادقين، الطامعين في الكمال، أما من دونهم فمُحال عليهم بلوغ منازل الأبطال.

تأمل مدى الجدية والصرامة : ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]

﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]

وقال النبي ﷺ :« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ».[4]

---

(١) البخاري(١٤٥٨)، مسلم(١٩)
(٢) البخاري(٤٩٩٣)
(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٥٨)
(٤) رواه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

روِّح عنها من وقت لآخر وأعطها شيئًا من المباحات

« سَاعَةً وَسَاعَةً ».[1] منهج نبوي لضبط التعامل مع النفس، فالنفس تملّ كما تملّ الأبدان ، فكان لزامًا على المرء أن يروِّح عنها ، حتى تطاوعه فيما أراد من الجدّ في وقته.

المنهـج العملـي : إن لهذه القلوب إقْبالًا وإدْبارًا. فإذا أقبلتْ فخُذُوها بالنوافل ، وإن أدْبَرتْ فأَلْزِمُوها الفرائِضَ.[2]

صاحب الناجحين في سياسة أنفسهم واقرأ في سير السابقين

المـرء شـديد التأثـر بغيـره ، عظيم التقليد له، فكلما رأى نماذج ناجحة في أي باب من الأبواب تاقت نفسُه لأن يكون مثلَهم ، فعلى مَن أراد تغيير نفسه وسياستها أن ينظر إلى من نجحوا وغيروا من أنفسهم ولا بأس بسؤالهم عن الطرق التي سلكوها فربما نفعت مع الغير، وكانت طبيعتهم كطبيعته وظروفهم كظروفه فاستفاد منهم ، وقلدهم في هذا التغيير فهذا من التقليد المحمود.

وأنجح من قادوا أنفسهم إلى الله هم سلفنا الصالح فلتقرأ دائمًا في سيرهم لتتأسى بهم.

سِيَرُ الصالحين جنْدٌ مِن جند الله يُثبت الله بها قلوب المؤمنين.[3]

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠) من حديث حنظلة الأسدي رضي الله عنه.
(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٢٢)
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٦) بتصرف

ثاني عشر تزود للسفر قبل المسير

أيها السائر إلى الله : اعلم أنك على جناح سفر ، قال ابن القيم : العبدُ مِن حين استقرت قدمُه في هذا الدار وهو مسافر إلى ربه، ومُدَّة سفَرِه هي عمُرُه الذى كُتِبَ له ، والأيام والليالي مراحل لسفره ؛ فكلُّ يوم وليلة مرحلةٌ مِن المراحل، فلا يزال يطويها مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهى السفر.[1]

واعلم أن نهاية سفرك هي قدومك على ربك ، قال ابن القيم : طالبُ اللهَ والدارَ الآخِرة إنَّما هو مسافرٌ إلى الله ، ونازلٌ عليه عندَ القدوم عليه، فهذه هِمَّتُه في سَفره.[2]

واعلم أن لكل سفر زادًا، مِن المعلوم أنَّ كلَّ مسافِرٍ في الدنيا لا بدَّ له مِن إعداد الزاد الذي يُبلِّغه ذلك السفر.

المسافِرُ إلى الله ربِّ العالمين لا بدَّ له أنْ يتزوَّد، بل هو أحقُّ بالتزوُّد مِن هذا الذي يتنقل بينَ البلاد.

وأعظم ما يتزود به العبد في سيره إلى ربه :

أولاً : تحقيق الإيمان

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١] ، فإن حلاوة الإيمان أعظم زاد في هذه الرحلة ، ولا يتذوق حلاوة السير ولذة هذا العيش إلا من كان له نصيب بمعرفة الله وتوحيده وعاش حقائق الإيمان، وجرّب هذه اللذة..

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٨٥)
(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٦) بتصرف

◄ قال ابن تيمية : فإن اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به.[1]

فاللهم لا تحرمنا لذة الإيمان وطعم الإيمان وحلاوة الإيمان

ثانياً : قوة اليقين

فتزوَّد - بعد الإيمان والتوحيد - لهذا السفر بِقُوَّة اليقين..

◄ يقول ابن القيم : وفي الطريق إلى الله قطّاعٌ وعقباتٌ ولصوصٌ يقطعون الطريق على السائرين، فإذا لم يكن معهم عُدَدُ الإيمان، ومصابيح اليقين ، حالت بينهم وبين السير إلى الله.[2]

فلا بُد من يقين يُنير لك الطريق .. فاليقين نور .. مصباحٌ يضيء لك طريقك إلى الله.

اليقين في الله .. وفي كلامه .. وفي صدق أخباره .. وفي وعده .. ووعيده.

اليقين في رسول الله ﷺ وفي تمام نصحه وفي صدق أخباره واليقين في منهجه وسنته ﷺ.

◄ قال ابن القيم : ومتى وصلَ اليقينُ إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا ، وانتفى عنه كلُّ رَيبٍ وشَكٍّ وهمٍّ وغَمٍّ. فامتلأ محبةً لله ، وخوفًا منه ورضًا به، وشكرًا له، وتوكلا عليه، وإنابة إليه. فهو مادةُ جميع المقامات والحاملُ لها.[3]

ثالثاً : تقوى اللَّه خير زاد

قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧] فَتقْوى اللهِ ربِّ العالمين هي الزادُ الموصِّل إلى الله تعالى وعزَّ وجلَّ وهي المنجيةُ مِن عَذابِه سبحانه بإذنه جلَّ وعلا.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣١)
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠) بتصرف
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٥)

وأحسن ما قيل في تعريف التقوى، ما قاله طَلْقُ بن حبيب[1] : العملُ بطاعةِ الله، على نورٍ مِن الله، تَرْجو ثواب الله، وتَرْكُ معصيةِ الله ، على نورٍ مِن الله ، تخافُ عِقابَ الله.[2]

ولَمَّا كانت التقوى هي خيرُ زاد يَتزوَّد به الإنسان للقاءِ ربه، كان جزاؤها مغفرةَ الله ورضوانه، ودُخول جنَّته التي أعدَّها الله ربُّ العالمين للمتَّقين؛ قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

بالتقوى يتيسر لك الطريق ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٤]

تزوَّدْ مِن التقوَى فإنك لا تَدري ... إذا جَنّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ
فكم مِن فتى أمسَى وأصبحَ ضاحكًا ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يدري
وكم مِن عروسٍ زينُوها لزوجِها ... وقد قُبِضَتْ أرواحُهمْ ليلةَ القدْرِ
وكم مِن صحيحٍ ماتَ مِن غيرِ عِلَّةٍ ... وكم مِن سَقيمٍ عاش حِينًا مِن الدهرِ

رابعاً : الإخلاص

أما الإخلاص فهو زادك الذي لا يصلح هذا الطريق إلا به وهو أساس التزود ومنتهاه..

◄ قال ابن الجوزي[3] : السبيلُ كالليل المُدْلَهِم ؛ غير أنَّ عينَ المُوَفَّق بَصرُ فَرَسٍ؛ لأنه يَرى في الظُّلمة كما يَرى في الضَّوء، والصدقُ في الطلب مَنَارٌ ، أين وُجِدَ يَدلُّ على الجادة؛ وإنما يَتعثر مَنْ لم يُخلص.[4]

لذلك حُصِر الوصول إلى الله في المخلصين ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]

فتزود أيها السائر بالإخلاص فهو زادك وخلاصك مِن شِباكِ عدوك.

---

(١) صدوق عابد، توفي سنة (٩٠ هـ)
(٢) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد(٣٤٣١) وهناد في الزهد(٢٢٥) وابن أبي شيبة في الإيمان (٩٩) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٤٦) من طريق بكر المزني، وأخرجه ابن بطه في الإبانة(٦٦٧) من طريق سليمان بن عتيق. كلاهما عن طلق بن حبيب به.
(٣) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)
(٤) صيد الخاطر (ص: ٣٦٧)

خامساً : العلم

العلم النافع هو الذي يصحح للسائر إلى الله المسار، وينير له الطريق، ويورثه الخشية.

◄ يقول ابن القيم : زادُ المهاجر إلى الله هو العلمُ الموروث من خاتم الأنبياء ﷺ ولا زادَ له سواه ، فمَن لم يحصِّل هذا الزاد فلا يخرج مِن بيته وليَقْعُد مع الخالفين.[1]

وتـزداد أهميـة العلـم في هذا العصر الذي انتشر فيه الجهل، واختلفت المشارب ، وظهر التخبط ، وكثُر الناعقون، و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]

سادساً : العون من اللَّه

تذكـر أن زادك وأنت ترحل إلى ربك جل وعلا أن تفتقر كل الفقر لربك ، وإن استغنى الناس بغير الله ، فإن استغنوا بالجاه أو المال أو الولد ، فاستغن أنت بربك جل في علاه ، ومن كان معه الله ، فمعه القوة التي لا تُغلب والهادي الذي لا يضل والحارس الذي لا ينام ، لذلك فنحن نطلب العون من الله في كل ركعة نصليها : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]

◄ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : تأملتُ أنفعَ الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].[2]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ له: « أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ».[3]

---

(١) الرسالة التبوكية (ص: ٥٩) بتصرف

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٠٠)

(٣) صحيح: أحمد (٢٢٥١)، والبخاري في الأدب(٠٩٦)، وأبو داود(٩١١٢٢)، والنسائي (٣٠٣١) وغيرهم من طرق عن حيوة بن شريح، قال: سمعت عقبة بن مسلم، يقول: حدثني أبو عبد الرحمن الحبلي، عن الصنابحي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به.

سابعاً : الهمة العالية

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]

◄ وكان ابن القيم يقول : لابد للسالك إلى الله من همةٍ تسيره وترقيه، وعلْمٍ يُبصره ويهديه.[١]

أخي المسافر إلى ربه !

اعلم أن الهمة العالية والاجتهاد العظيم، خير زاد لك ، فالمسافر إلى ربه يبذل الجهد ويستفرغ طاقته في سبيل إرضاء ربه جل وعلا، فهو صاحب همة عالية، يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل الغاية المأمولة، وتحقيق البغية المطلوبة؛ لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره، وأن اللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظٍّ من المشقة ؛ ولله در مَن قال:

لَوْلا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... الْجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ

واعلم أخي المسافر : أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وبحسب الجد والاجتهاد وتحمُّل المشقة تكون اللذة والفرحة، فمَن جدَّ وجد، ومَن طلب العُلَى سهر الليالي.

لا تحسبنَّ المجدَ تمراً أنتَ آكلُه ... لن تبلغَ المجدَ حتى تَلعق الصبرا

لقد كان سيد المجتهدين وإمام المرسلين ﷺ يجدُّ ويجتهد في طاعة الله وطلب رضوانه، فكان يقوم الليل كله إلا قليلاً، حتى تورمت قدماه وحين يُسأل يقول : « أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ».[٢]

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٨)

(٢) رواه البخاري (١١٣٠) ومسلم(٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

تعرَّف على الطريق وطبيعته جيدًا

إن معرفة الطريق الذي يسير فيه الإنسان لبلوغ هدفه أمرٌ ضروريٌ لمواصلة سيره دون انقطاع أو فتورٍ، لتجنب ما يمكن تجنبه من العوائق في هذا الطريق ؛ والطرق كثيرةٌ متشعبةٌ أمام المسافر، وفي وسطها طريقٌ واحدٌ هو الموصل للغاية المنشودة.

◄ قال ابن القيم : الْجَهْل بِالطَّرِيقِ وآفاتها، يُوجب التَّعَب الْكثير مَعَ الْفَائِدَة القليلة.[١]

أوصاف الطريق الموصل إلى الله

أولاً : أنه طريق واحد لا ثاني له

وهو صراطُهُ المستقيمُ، وبقيَّةُ السُّبلِ كلِّها سبل الشيطان، مَنْ سلكها قطعت به عن الله، وأوصلته إِلَى دار سَخَطه وغضبه وعقابه.[٢]

ثانياً : واضح في غاية الوضوح

كما قال ﷺ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ ».[٣]

والبيضاء : هي الطريق الواضحة النقية التي لا لَبْسَ فيها.

وهو ما بعثَ به رُسلَه وأنزل به كُتُبَه، لا يصلُ إليه أحدٌ إلا مِن هذه الطريق، ولو أتَى الناسُ مِن كلِّ طريق، واستفتَحُوا مِن كلِّ بابٍ، فالطرقُ عليهم مسدودةٌ، والأبوابُ عليهم مُغلقةٌ إلا مِن هذا الطريق الواحد، فإنه مُتصلٌ بالله، مُوصِّلٌ إلى الله.[٤]

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٧١)
(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤٢٥)
(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤١٧١، ٤٤١٧١، ٥٤١٧١) وابن ماجه (٣٤) وابن أبي عاصم في السنة (٨٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وابن أبي عاصم في السنة (٧٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٨)

فلا تتلون، كن واحدًا لواحدٍ على طريق واحدٍ

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: إياكَ والتَّلوُّن في دِينِ الله تعالى، فإنَّ دِينَ الله واحد.[1]

فلواحدٍ كنْ واحدًا في وَاحِدِ ... أعْنِي سبيلَ الحقِّ والإيمانِ[2]

ثالثاً: الطريق مستقيمة لا اعوجاج فيها

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]

وقد بيَّن النبي ﷺ معالمه غاية البيان كما في حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ ».[3]

---

(١) صحيح: رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٠٢١)، وابن أبي شيبة(٣٥٩٥٣)، والحارث في مسنده(٠٧٤)، وابن بطة في الإبانة(٥٢)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم(٥٧٧١)، والأصبهاني في الحجة(١/٩٢٣)، والهروي في ذم الكلام(٤/٨٨) من طرق عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) نونية ابن القيم (ص: ٢١٩)

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٤٣٦٧١)، والآجري في الشريعة(٥١)، والمروزي في السنة(٧١) من طريق الليث بن سعد.
وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ(٣/ ٤١٤)، والرامهرمزي في الأمثال(٣) ، وابن بطة في الإبانة(١٣١)، والآجري في الشريعة(٤١)، والطحاوي في شرح المشكل (٣٤٠٢)، والمروزي في السنة(٦١) من طريق عبد الله بن صالح.
والحاكم(٥٤٢) من طريق ابن وهب. ثلاثتهم عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير، حدثه عن أبيه، عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه به.
تنبيه: سقط من مطبوع المعرفة والتاريخ: معاوية بن صالح.

رابعاً : الطريق طويلة منتهاها الوصول إلى اللَّه

قال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]

فاعلم أن سَيْرك إلى الله لا ينقضي حتى يأتيك الأجل.

◄ قال الحسن البصري: أَيْ قَوْمِ، الْمُدَاوَمَةَ الْمُدَاوَمَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجَلاً دُونَ الْمَوْتِ.[1]

فوطِّن نفسك على الصبر حتى لا ترجع عن الطريق وتنقطع عن السير

◄ يقول ابن القيم : أكثر السائرين في الطريق رجعوا على أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته ... فبَيْن العبد وبين السعادة والفلاح قوة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.[2]

◄ وقال : ليس العجب ممن هلك كيف هلك ؟ إنما العجب ممن نَجَا كيف نجا ؟

تعْجَبِين مِن سَقَمِي ... صِحَّتِي هي العَجَبُ

الناكصون على أعقابهم أضعافَ أضعافَ مَن اقتحم العقبة.

خُذْ مِن الأَلْفِ وَاحِدًا ... واطَّرِحِ الكُلَّ مِن بعْدِه.[3]

◄ قال ابن رجب : ربما سلك الإنسان في أول أمره عَلَى الصراط المستقيم، ثم ينحرف عنه في آخر عُمُره فيسلك بعض سبل الشيطان فينقطع عن الله فيهلك.

والشأن كل الشأن في الاستقامة عَلَى الصراط المستقيم من أول السير إِلَى آخره ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٨)، وأحمد في الزهد(١٥٤٨) من طريق وهب بن جرير كلاهما (ابن المبارك، وهب) عن جرير بن حازم عن الحسن به.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠)

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٢٦)

ما أكثر مَن يرجع أثناء الطريق أو ينقطع، فإنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

خَلِيليَّ قُطَّاع الفيافي إِلَى الحما ... كثير وأما الواصلون قليل[١]

خامساً : الطريق لا وقوف فيها البتة

لا تقف : فإن الملائكة تكتب ، والعمر ينصرم ، والموت قادم ، وكل نَفَسٍ يخرج لا يعود.

◄ قال ابن القيم : العبدُ سائرٌ لا واقفٌ، فإمَّا إلَى فَوْقٍ، وإمّا إلَى أسفلَ، إمَّا إلَى أمامٍ وإمّا إلَى ورَاءَ.[٢]

سادساً : الطريق قليلٌ سالكوها فلا تستوحش

إبراهيم عليه السلام سار وحده ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وقال الله عنه : ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]

ولم يكن في قرية السوء إلا بيت طُهْر وهو بيت لوط عليه السلام ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٦]

بل يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، قال رسول الله ﷺ : "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ".[٣]

فعليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين. وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.[٤]

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤٢٦)
(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٧٨)
(٣) رواه البخاري(٥٧٥٢)، ومسلم(٣٧٤) واللفظ له من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٦)

سابعاً : الطريق عليها عوائق كثيرة

الطريق إلى الله تعالى ليس مُعبَّدًا سَهلاً وليس مفروشًا بالورود والرياحين ولكنه طريق شاق كثير العقبات والمَلمات وطويل مُوحش كثير المُنحنيات والمُنعطفات ، تنهمر عليه ومن أجله الدموع والعبرات ولكنه ينتهي بجنة عرضها الأرض والسماوات.

◄ يقول ابن القيم واصفًا هذا الطريق: أَيْن أَنْت وَالطَّرِيق طَرِيقٌ تَعبَ فِيهِ آدم ، وناح لأَجله نوح ، ورُمِي فِي النَّار الْخَلِيل ، وأُضْجِع للذبح إِسْمَاعِيل ، وبيعَ يُوسُف بِثمن بخْسٍ ، ولَبثَ فِي السِّجْن بِضعَ سِنِين ، ونُشر بِالْمِنْشَارِ زكريا ، وذُبِحَ السيدُ الحَصورُ يحيى ، وقاسَى الضّرَّ أَيّوبُ ، وزَادَ على الْمِقْدَار بكاءُ دَاوُد ، وسَار معَ الْوَحْش عِيسَى ، وعالجَ الْفقْرَ وأنواعَ الْأَذَى مُحَمَّدٌ ﷺ ، تظنُّ أَنْت أن تصلَ باللهو واللعب!.[1]

ومع أن الطريق عليها عوائق كثيرة وكبيرة لكن الله بمنِّه وكرمه ييسرها على الراغبين في فضله والمقبلين عليه بصدق، قال الله تعالى : ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]

- وقال جبريل لهاجر حين تركها إبراهيم وحدها : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ ».[2]

◄ قال ابن القيم :

- مَن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد
- ومن أَقبل إِليه سبحانه تلقاه من بعيد
- ومن تصرف بحوله وقوته أَلان له الحديد
- ومن ترك لأَجله أَعطاه فوق المزيد.[3]

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٢)
(٢) رواه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٥)

قواعد المرور على الطريق

مَن جهل قواعد المرور كثرت مخالفاته
ومن كثرت مخالفاته سُحبت رخصته فتوقفَ عن المسير

وطريق الهداية له قواعد للمرور ينبغي أن يعرفها السالك ويعلمها جيدًا حتى يَسلَم له سيره

١ طريق الهداية يسير ميسر على مَن يسره الله عليه

حاجة الناس إلى الهدَى أعظم مِن حاجتهم إلى النصر والرزق؛ لأن العبد إذا اهتدى كان من المتقين، فصار أهلاً للنصر والرزق : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].[١]

وكلما كان الناسُ إلى الشيءِ أَحْوجَ، كان الرَّبُّ به أَجْوَد.[٢]

لذلك فطريق الهداية أيسر الطرق وأسهلها وأقلها تكلفة، لأن الله تعالى يريد لنا وبنا اليسر، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وهو سبحانه يحب أن يتوب على عباده: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [النساء: ٢٧]

لكنّ طريق الهداية يسير على مَن يسره الله له، وسهْلٌ على من سَهَّلَهُ الله عليه، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ:« لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ».[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٩) بتصرف
(٢) قاله ابن تيمية في كتابه النبوات (٢/ ٦٨٤)
(٣) صحيح : عبدالرزاق في مصنفه(٢٠٣٠٣)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرى(١١٣٣٠) من طريق أبي وائل.
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٣٠٩٥٠)، وأحمد في مسنده(٢٢٠٦٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(٥٢٠) من طريق عروة بن النزال.
وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة(١٩٧) والشاشي في مسنده(١٣٦٦) من طريق ميمون بن أبي شبيب. ثلاثتهم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه به.

٢ إن تصدق الله يصدقك

اعلم أن صدق الإرادة والعزيمة هي أول منازل القاصدين إلى الله.

وصدق الإرادة تعني : نهوض القلب فِي طلب الحق.

لأنّ الإرادة مقدِّمَة كُل أمر، فإذا لَمْ يُرد العبد شَيْئًا لَمْ يفعله ولم يتحرّك نحوه، وإذا صدقتْ إرادتُه دفعتْه إلى السعي نحو ما يريد، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف:٢٨]

◄ قال ابن القيم : الصادق في إرادته وعزيمتِه هو الذي خرج مِن وَطَن طَبْعه ونفْسِه، وأخذ في السفر إلى الله، والدار الآخرة.[١]

فالإرادة دافعٌ للسير، والسير والسعي برهانُ صدقها، قال تعالى : ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩]

٣ طريق الهداية يُقطع بالقلوب وليس بالأقدام

أسفار الدنيا تقطع بسير الجوارح، لكن **أسفار الآخرة** لا يكفيها سير الجوارح بل لابد وأن يتقدمها سير القلوب إلى ربها وخالقها،

فلا يعتقد مؤمن أنه بسيره إلى الله بجوارحه فقط عند التزامه الطاعات وابتعاده عن المنكرات سيوصله إليه سبحانه، بل إن السير الأول والأهم والأكثر خطورة والأعظم أثرًا هو سير القلب.

◄ قال ابن الجوزي : اعلم أنَّ الطريقَ المُوَصِّلَة إلى الحقِّ سبحانه ليست مما يُقطع بالإقدام، وإنما يُقطع بالقلوب.[٢]

◄ قال ابن القيم : كلما صحَّ القلب ترَحَّلَ إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها.[٣]

(١) مدارج السالكين (٢/ ٧) بتصرف
(٢) صيد الخاطر (ص: ٣٦٧)
(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧١)

إن الحرمان الحقيقي أن تمضي مسرعاً في خطواتك، قويًا قطعت الفيافي والقفار، ثم تلتفتُ فإذا أنت قد خلّفت قلبك عند بدايات الطريق!.

إشراقة

القلوب ثلاثة ؛ فمن أي القلوب قلبك ؟

- قلبٌ لم يولد ولم يأْن له بل هو جنين في بطن الشهوات والغيّ والجهل والضلال .
- وقلبٌ قد وُلد وخرج إلى فضاءِ التوحيد والمعرفة وتخلّص من ظلمات النفس والهوى فقرَّت عينُه بالله.
- وقلبٌ ثالث في البرزخ ينتظر الولادة صباحًا ومساءً.[1]

٤ عليك البداية وعلى ربك التمام

اعلم أيها السائر إلى اللّه أن البداية عليك وعلى الله التمام، فليست الهداية بالتمني .. ولكنها عزم وقر في القلب .. وصدّقه العمل، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ [الليل: ٥ - ٧]

قال السعدي : أي نسهِّل عليه أمره، ونجعله ميسرًا له ، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسَّرَ الله له ذلك.[2]

عَنْ أَنَس بن مالك ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ، قَالَ: « إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ».[3]

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٦)
(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٢٦)
(٣) رواه البخاري (٧٥٣٦) من حديث أنس ﷺ، ورواه البخاري(٧٤٠٥)، ومسلم(٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، ورواه مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

٥ تدرَّج ولا تستعجل

التـــدرج أصل في رحلة الهداية ، فأوْغِل في الدِّين برفق، وراعِ فقهَ النفْسِ، ولا تحمِّلها فوق طاقتها فتستحسر وتترك ...

فالطريـــق ذو الألـــف ميـــل يبـــدأ بخطـــوة، وأما المتعجِّل الذي يريد جمعَ كلَّ الفضائل ونفيَ الرذائل في مُدَّة وجيزة فهذا لم يفهم السنن الكونية ولن يطيق الصبر على الطريق الطويل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[١]

◄ قال ابن حجر : الأَوْلَى للعامل أن لا يجهد نفسَه بحيث يعجز وينقطع ، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع.[٢]

اعلـــم أن من استعجل الشيء قبل أوانه عُوقب بحرمانه فإن التأني من الله والعجلة من الشيطان ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: " التأَنِّي مِنَ الله والعَجَلَةُ مِنَ الشيْطانِ".[٣]

ضابط التدرج :

التدرج لا يكون في الشرع إلا في أمور ثلاثة:

- المستحبات.
- المكروهات.
- الزهد والورع المستحب.

وأما أن يريد الإنسان إعمال التدرج في أمرٍ واجب كصلاة الجماعة مثلا **فهذا حرام**

- **ولا يجوز** إدخال التدرج في ترك المحرمات؛ بل يجب على الإنسان تركها في الحال.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٥)

(٣) حسن: أخرجه أبو يعلى (٤٢٥٦)، والحارث في مسنده (٨٦٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(٦٨٦)، والبيهقي في الكبرى(٢٠٢٩٦) من طرق عن الليث بن سعد حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان , عن أنس رضي الله عنه به.

وأخرجه الترمذي (٢٠١٢)، والطبراني في الكبير(٥٧٠٢) من طريق عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده به. وفيه: عبد المهيمن بن عباس فيه ضعف لكن يشهد له ما قبله.

انتبـه : لا تجعل التدرج تُكأة للتفريط، ولا مَدعاة للكسل، ولا سبيلاً لسقوط الهمة وعدم طلب الأعلى والأكمل والأفضل.

◄ قال ابن القيم : يا مَنْ يَستعْظِم أحوالَ القومِ ، تَنقَّلْ في المَراقِي تَصِل.[١]

٦ ترتيب الأولويات ومراعاة القدرات

عليـك أيهـا السـائر فـي طريـق الهدايـة أن تلزم ما يتناسب مع حالك وظروفك والأفضل في حقك في جميع الأحوال ، فلا تنشغل بالروح على حساب الجسد فتضرّ به ، وكذلك لا تنشغل بالجسد على حساب الروح والقلب فتضر بهما ، وهكذا في كل أمورك، قال سَلْمَانُ الفارسي لأبي الدرداء ﷺ : إنَّ لرَبِّكَ علَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ علَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "صَدَقَ سَلْمَانُ".[٢]

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو ﷺ « قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».[٣]

ولا يسـتطيع الإنسان إعمال هذه القاعدة حقًّا حتى يكون عالمًا بمراتب الأعمال عارفًا بمقاصد الشرع، قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة : وليس كلُّ ما كان أفضلَ يُشرعُ لكلِّ أحدٍ بل كلُّ واحدٍ يُشرع له أن يَفعل ما هو أفضلُ له.[٤]

◄ وعن عبد الله بن وهب، قال : قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟
قال: حسنٌ جميل، لكن انظر الذي يَلزمك من حين تُصبح إلى أن تُمسي، فالْزَمْه.[٥]

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٣٢)
(٢) رواه البخاري (١٩٦٨)
(٣) رواه البخاري (١٩٧٥) ومسلم (١١٥٩)
(٤) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٠)
(٥) صحيح: أبو نعيم في الحلية(٦/ ٣١٩)، والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى(٣٢٨)، وأبي الفضل الزهري(٥٤٩) من طرق عن ابن وهب به

◀ قال الذهبي[1] : هنا مسألة مختَلَفٌ فيها: هل طلب العلم أفضل، أو صلاة النافلة والتلاوة والذكر؟ فأما مَن كان مخلصا لله في طلب العلم، وذهنه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حظٍّ من صلاة وتعبُّدٍ ، وأما مَن كان طلبُه الحديث والفقه غِيَّةً ومَحبةً نفسانِية، فالعبادةُ في حَقِّه أفضل.[2]

٧ العبرة بكمال النهايات وليست بنقص البدايات

يقول ابن تيمية : الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية.[3]

وهـــذه قاعـــدة في غاية الأهمية خاصة للمبتدأ في طريق الهداية ، فالسائر في طريق الهداية قد يبدو له في أول سيره أنّ سيره ضعيف ومتقطع وملتوي، ولكن إذا تابع السير شيئًا فشيئًا ، وحَدَى بنفسه نحو سعادتها ونجاتها في طريقها إلى ربها ، ومنّاها قربَ الوصول، سيأتي الوقت الذي تنطلق فيه انطلاقا عجيبًا وتسير سيرًا حثيثًا ، وما لذلك إلا لصبره وفهمه بطبيعة النفس في أول كل أمر.

◀ قال ابن الجوزي : ومَن فَهِمَ هذا الأصل، علَّل النفس، وتلطَّف بها، ووعدها الجميل، لتصبر على ما قد حُمِّلَت .[4]

٨ من لم تكن همته التقدم فهو في تأخر ولا يشعر، فلا وقوف في الطريق

الكل سائر ولا أحدَ واقفٌ : « كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ».[5]

◀ قال ابن القيم : مَن لم تكن همته التقدم فهو في تأخر ولا يشعر ، فالعبد سائر لا واقف، إما إلى أمام وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة، ما هو إلا مراحل تُطوى أسرعَ طَيّ إلى الجنة أو النار، فمُسرع ومُبطئ، ومُتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف البتة، قال تعالة : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر: ٣٧]

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي سنة (٧٤٨ هـ)
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٦٧)
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٥٥)
(٤) صيد الخاطر (ص: ١١٤)
(٥) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

ولم يذكر واقفًا، إذ لا منزل بين الجنة والنار، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين البتة، فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة.[١]

فاشتغل بالطاعة تتقدم، وإلا فأنتَ تتأخر وإن لم تشعر

◄ قال ابن القيم: لله على العبد في كل وَقت من أوقاته عبوديّة تُقدِّمه إليْهِ تُقربه مِنْه، فإن شَغل وقتَه بعبودية الوقْت تقدَّم إلَى ربه، وإن شغلَه بهوى نفْسِه تأخّر، فالعبد لا يزال في تَقدُّم أو تأخّر ولا وقوف في الطَّرِيق البتّة.[٢]

٩ من فارق الدليل ضل سواء السبيل

إذا أردتَ الهداية فالزم الدليل، لأن مَن فارقَ الدليل ضلَّ السبيل

◄ كان شيخ الاسلام ابن تيمية يقول: مَن فارق الدليلَ ضَلَّ السبيلَ، ولا دليلَ إلا بما جاء به الرسولُ ﷺ.[٣]

قال تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

هذه من القواعد المهمة التي ينبغي للسائر إلى الله أن لا يغفل عنها

لأنه لن يصل أحد إلى الله إلا بما بيَّنه اللهُ في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، على مراد الله ومراد رسوله ﷺ.

◄ كما قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي[٤]:

آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.[٥]

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٧٨)
(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٣)
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٣)
(٤) توفي سنة (٢٠٤ هـ)
(٥) لمعة الاعتقاد (ص: ٧)

١٠ المزاولات تعطي الملكات

من القواعد المهمة أن المزاولات تُعطي الملكات والعوائدُ تَنقل الطبائع ، ومعنى هذا أن مَن زاوَل شيئًا واعتاده وتمرَّن عليه صار مَلَكَةً له وسجيَّه وطبيعة له ، فلا يزال العبدُ يتكلف التصبُّر حتى يصير الصبرُ له سجيةً ، كما أنه لا يزال يتكلف الحِلْم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقا بمنزلة الطبائع.[١]

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فالفضائل تحصل بالمجاهدة والمداومة والتكرار، ومَن علم الله منه صدق نيته أعانه ، قال رسول الله ﷺ : "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ".[٢]

قال رسول الله ﷺ : "وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا".[٣]

◀ قال ابن القيم :

لا يزال العبد يُعاني الطاعةَ ويَألفُها ويُحبها ويُؤثرها حتى يُرسل الله سبحانه وتعالى برحمته عليه الملائكة تَؤزُّه إليها أزًّا، وتُحرِّضه عليها، وتُزعِجُه عن فراشه ومجلسه إليها.

ولا يزال يألفُ المعاصي ويُحبها ويُؤثرها، حتى يُرسل الله إليه الشياطين، فتؤزُّه إليها أزًّا.

فالأول قوَّى جندَ الطاعة بالمددِ ، فكانوا مِن أكبر أعوانه، وهذا قوَّى جندَ المعصية بالمدد فكانوا أعوانا عليه.[٤]

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢١)
(٢) رواه مسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) البخاري(٦٠٩٤)، مسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٤) الداء والدواء (ص: ٥٦)

١١ رضى الرب في العجلة إلى أوامره

من القواعد المهمة للسائر إلى الله أن يعلم أن الأصل في السير إلى الله المسارعة والمسابقة، قال الله عن كليمه موسى عليه السلام : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤]

◄ قال ابن القيم : الحامل لموسى على العجلة : هو طلب رضا ربه، وأن رضاه في المبادرة إلى أوامره، والعجلة إليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن رضا الرب في العجلة إلى أوامره.[١]

قال رسول الله ﷺ : "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ.."[٢].

◄ قال خالد بن معدان[٣] : إذا فُتِحَ لأحدكم باب خير، فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه.[٤]

لا تقل حتى أقتنع، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦]

١٢ الجمع بين الحب والخوف والرجاء

لأن الحب يسوقك إليه سوقا، والرجاء يُحبب إليك طاعته، والخوف يبعدك عن معصيته.[٥]

◄ قال ابن تيمية : اعلم أنَّ مُحركاتِ القلوب إلى الله عز وجل ثلاثةٌ: المحبةُ والخوفُ والرجاءُ. وأقواها المحبة .... فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدْرِ ضعْفِها وقوتها يكون سيرُه إليه ، والخوفُ يَمنعُه أن يخرج عن طريق المحبوب ، والرَّجاءُ يَقودُه ، فهذا أصلٌ عظيم يَجبُ على كلِّ عبْدٍ أن يَتنبَّه له.[٦]

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٦٠)
(٢) مسلم (١١٨)
(٣) ثقة عابد من الثالثة، توفي سنة (١٠٣ هـ).
(٤) صحيح: أخرجه أحمد في الزهد(٢٢٦٥) حدثنا أبو المغيرة، حدثنا جرير، عن خالد بن معدان به.
(٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٣٦) بتصرف
(٦) مجموع الفتاوى (١/ ٩٥) باختصار

◀ وقال ابن القيم : القلبُ في سيْرِه إلى اللهِ عز وجل بمنْزِلةِ الطائِرِ، فالمحبةُ رأسُه، والخوفُ والرجاءُ جَناحاه، فمَتَى سَلِمَ الرأسُ والجناحان فالطائرُ جيدُ الطيران، ومتَى قُطِعَ الرأسُ مات الطائرُ، ومتى فُقِدَ الجناحان فهو عُرْضةٌ لكلِّ صائِدٍ وكاسِرٍ،...فالمحبةُ هي المرْكَبُ والرَّجاءُ حادٍ ، والخوفُ سائِقٌ ، واللهُ الموصِّلُ بمَنِّهِ وكَرَمِه.[1]

وقال أيضًا : فما حُفظت حدود الله ومحارمُه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته.[2]

١٣ المحرك على طريق السير قوتان : قوة علمية، وقوة عملية

◀ قال ابن القيم : السائر إلى الله تعالى والدار الآخرة، بل كلُّ سائر إلى مَقْصِدٍ، لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين:

- قوة علمية.
- وقوة عملية.

فبالقوة العلمية يُبصر :

منازل الطريق وأعلامها فلا يضل عنها ، وكذلك يُبصر مواضع السير فيسلكها ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع الزلل وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل.

وبالقوة العملية يسير حقيقة

فالسائر إلى ربه يضع عصاه على عاتقه

ويشمّر مسافرًا في الطريق قاطعًا منازلها منزلةً بعد منزلة

فكلما قطع مرحلةً استعدَّ لقطع الأُخرى واستشعر القرب من المنزل

فهانت عليه مشقة السفر.[3]

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٢)
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٨٣)

١٤ من استطال الطريق ضعف مشيه

وهـذه قاعـدة مهمـة ، لأن الطريق إلى الله ليست بالقصيرة ، وإنما هي طريق طويلة لذا تحتاج إلى صبر وهمة وعمل دائم وعدم التفات لكى تقطعها وتصل بسلام، وإلا لو ظل السائر يقول: الطريق طويلة وبعيدة و هو مكانه

فلن يتحرّك ولن يصل .. فاستعن بالله واترك الشكوى .. اعمل واجتهد واتعب حتى نهاية الطريق ، قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]

لا تنظر للطريق جملةً واحدةً .. وإنما قسِّمْه إلى مراحل يسهل عليك قطعُ مسافاته

والحكمة تقول : فتِّتِ الحجر تستطعْ حمْلَه ، وكذلك الطريق إلى الله .

لأستسهِلنَّ الصعبَ أو أُدرك المُنَى ... فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابر

١٥ طريق الهداية وسط

طريـــق الهدايـــة وسط في كل شيء، لا غلو ولا تفريط ، والخروج عن الوسط ومجاوزة حدِّ الاعتدال مسلك شيطاني.

◄ قال ابن القيم : ما أمرَ اللهُ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو ؛ ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه.[١]

فـــإذا رأى الشـــيطانُ أنَّ الغالب على حال العبد المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته عن المأمور به، وثقَّله عليه، فهوَّن عليه تركه ، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويُوهِمُه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصِّر بالأول ويتجاوز بالثاني.[٢]

ولا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الأمْرِ واقْتَصِدْ ... كلا طَرَفَي قَصْدِ الأمُورِ ذَمِيمُ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤)
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١١٦)

فأوْغِل في الدين برفق، ولا تُبغِّض إلى نفسك عبادة ربك، فإن المُنْبَتّ لا سفرًا قطع، ولا ظهرًا أبقى.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلاَثًا.[1]

قال النووي[2] : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.[3]

قال ابن حجر : فيه التحذير من الغلو في الديانة والتنطع في العبادة بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع وقد وصف الشارع الشريعةَ بأنها سهلة سمحة.[4]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ ».[5]

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: وهذا عامٌّ في جميع أنواع الغلوّ في الاعتقادات والأعمال.[6]

١٦ لا تغتر بقلة السالكين ولا بكثرة الهالكين

أيها السائر إلى الله : لا يغرنَّك ما عليه كثير من الناس من المنافسة في أمور الدنيا الفانية، والزهد في سلوك طريق الهداية، وتأمل قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]

فعليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين.

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠)
(٢) أبو زكريا يحى بن شرف الشافعي، توفي سنة (٦٧٦ هـ).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٠)
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٠١)
(٥) صحيح: رواه أحمد (٣٢٤٨)، وابن أبي شيبة(١٤٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة(٩٨) وابن ماجه (٣٠٢٩) وغيرهم من طرق عن عوف، حدثني زياد بن حصين، عن أبي العالية الرياحي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨)

وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.[1]

وتأمل قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾ [يوسف: ١٠٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

هلكى هذا السفر كثير وكثير، والناجون فيه قليل، الناجي فيه واحد من ألف!

وسَوف ترى إِذا انجلى الْغُبَار ... أَفَرسٌ تَحْتَكَ أم حِمَار [2]

١٧ لكل عمل شِرَّة ولكل شِرَّة فترة

طبيعة السير على الطريق التفاوت في الخطوات، فمرةً إسراع ومرة تباطؤ، وهكذا النفس البشرية تُقبل أحيانا وتُدبر أحيانا أخرى ، فلا دوام لحال ولا ثبات لأعمال ، والعصمة للأنبياء ولمن عصمهم الله تعالى ، وكل مَنْ هم دون ذلك يزداد إيمانهم وينقص.

◄ قال ابن القيم : تخلل الفترات للسالكين: أمرٌ لازم لا بد منه ؛ فمَن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه مِن فرضٍ، ولم تُدخله في مُحرَّمٍ: رَجَا له أن يعود خيرا مما كان.[3]

◄ قال ابن القيم في النونية :

وتخللُ الفتَراتِ للعزماتِ ... أمْر لازِم لطبِيْعَةِ الإِنْسَانِ

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦)
(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٠)
(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٢١)

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي ، فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ هَلَكَ ».[1]

◀ يقول ابن القيم معلقاً على هذا الحديث: فكلُّ الخير في اجتهادٍ باقتصادٍ، وإخلاصٍ مقْرونٍ بالاتِّباع.[2]

واعلم أن النفوس لها إقبال وإدبار؛ فإذا أقبلتْ فخذها بالنوافل ، وإن أدبرتْ فألزمها الفرائض.[3]

إِذَا هَبَّت رِياحُكَ فَاغتَنِمها ... فَإِنَّ لِكُلِّ خافِقَةٍ سُكونُ

١٨ قليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ

إن المداومة على الأعمال والمحافظة عليها وإن كانت قليلة أفضلُ من الاجتهاد مع الانقطاع ، ومن سار على الدرب وصل ولو بعد حين ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ فمَن سلك طريقه كان أقرب إِلَى الله من غيره.[4]، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: « أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ».[5]

وقال الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ »، قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ .[6]

---

(١) صحيح: أخرجه (٦٤٧٧، ٦٧٦٤، ٦٩٥٨)، وابن أبي عاصم في السنة(٥١)، والبزار في مسنده(١٣٤٥، ٢٣٤٦) من طرق عن حصين بن عبد الرحمن والمغيرة الضبي عن مجاهد. وأخرجه(أحمد(٦٥٣٩، ٦٥٤٠) والبزار(٢٤٠١)، من طريق محمد بن إسحاق، حدثني أبو الزبير، عن أبي العباس، مولى بني الديل، كلاهما(مجاهد، أبو العباس) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به.
وله شاهد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي(٢٤٥٣)، وابن حبان(٣٤٩)

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٨)

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٢٢)

(٤) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤١٢) بتصرف

(٥) رواه مسلم (٧٨٢)

(٦) رواه مسلم (٧٨٣)

◄ قال النووي : فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة .[1]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ .[2]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ.[3]

القليل مع القليل كثير

لا تحقرن مِن الأمور أقلَّها ... إن القليل مع القليل كثير

١٩ إهمال ساعة يفسد رياضة سنة

◄ قال أبو محمد ابن حزم : إهمال سَاعَة يفْسد رياضة سنة.[4]

انتبه وأنت تسير إلى ربك، فإذا حدثتك نفسك أو زيَّن لك الشيطان، أن ترتكب معصية لله تعالى أو تقصر في طاعة من الطاعات – وهذا أمر ممكن الحصول لأن الشيطان وجنده لن يدعوك تهزمهم بهذه السهولة، فهم يريدونك أن تتراجع عن طريق الهداية – فاستعذ بالله من شرهم ، واستعن بالله عليهم وتذكر دائما نظرَ الله إليك ، فهذا أعظم ما يعينك على دوام الاستقامة في كل أوقاتك.

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٧١)
(٢) رواه البخاري (٦٤٦٢)
(٣) رواه مسلم (٧٨٢)
(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٣٣)

٢٠ العاقل ابن وقته

◄ قال ابن القيم : وقتُ الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، وهو يمرّ أسرع من السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوبا من حياته.[١]

فالعاقل مَن لا يهتم بماضي وقته وآتيه، بل يهتم بوقته الذي هو فيه. فإن الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يُضيع الوقت الحاضر.[٢]

والأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته.[٣]

وإذا أراد اللَّه بالعبد خيرًا : أعانه بالوقت، وجعل وقته مساعدا له.

وإذا أراد به شرًا : جعل وقته عليه، وناكده وقته. فكلما أراد التأهب للمسير: لم يساعده الوقت. والأول: كلما همَّت نفسُه بالقعود أقامه الوقت وساعده.[٤]

علَّق بعض الأذكياء على مكتبته ثلاث لوحات

يومُك يومُك	فَكِرّ واشكر	لا تغضب
عش في حدود اليوم	فكّر في نعم الله واشكره عليها	لأنه جماع الشر

(١) الداء والدواء (ص: ١٥٧)
(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٢٤)
(٣) مدارج السالكين (١/ ١١١)
(٤) مدارج السالكين (٣/ ١٢٥)

بداية السير

خطوات على طريق الهداية

إن السائر إلى الله تعالى لابد له أن يتحرك وإلا فلن يصل إلى غايته

أيا طالب الهداية .. آن الأوان أن تضع قدمك على الطريق وتسير إلى ربك

واعلم أن خطوات طريق الهداية على نوعين:

- النوع الأول : خطوات للتخلية من الذنوب والسيئات.
- النوع الثاني : خطوات للتحلية بالطاعات والحسنات.

ولمّا كان من غير المعقول أن يتزين الإنسان ويتطيب قبل أن يتطهر ويتنظف فالبداية لابد أن تكون بالتخلية:

خطوات التخلية

- لما عرَّف اللهُ نبيَّه إبراهيم مكان البيت (البيت الحرام)

أمره أولاً أن يطهّر بيتَه من دنس الشرك

ثم أمَرَه أن يُؤذن في الناس بالحج ليطوفوا ببيت الله فيشهدوا منافع لهم، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٨] .

وكذلك السائر إلى الله لابد أن يطهّر ظاهره من كل ذنبٍ ومعصية، ثم يطهر قلبه – الذي هو محل نظر الله – [1] من كل شهوة وشبهة، ثم يسير الله ربه، فإذا فعل ذلك فسيصل حتما ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الصافات: ٨٤]

◄ قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام يقول: في قول النبي ﷺ: « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ »[2] فإذا كانت الملائكةُ المخلوقون، يَمنعها الكلبُ والصورةُ مِن دخول البيت، فكيف تدخلُ معرفةُ الله عز وجل ومحبتُه وحلاوةُ ذكره والأنسُ بقربه في قلبٍ مُمتلئٍ بكلابِ الشهوات وصُورِها.[3]

وإن أخطر ما يعوق العبدَ عن السير في طريق الهداية ؛ الذنوب والمعاصي ، فإذا أردت التخلص منها فعليك بهذه الخطوات:

أولاً الاعتراف بالذنب وعدم التبرير

اعترف بذنبك واعتذر لربك ، فالاعترافُ يَمْحُو الاقترافَ

إنَّ اعترافَ المرءِ يَمحُو اقترافَه ... كما أنَّ إنكارَ الذنوبِ ذُنوبُ

إن أول خطوة على طريق التوبة النصوح أن يعترف العبد بذنبه، قال تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٢].

وفي حديث سيد الاستغفار : « أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي ».[4]

◄ قال ابن القيم : فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها ، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولا وآخرا.[5]

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" مسلم(٢٥٦٤)

(٢) البخاري(٣٣٢٢)، مسلم(٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رضي الله عنه.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٩١)

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٦) عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رضي الله عنه .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم(١/ ١٩٧)

اعترفَ آدمُ وزوجُه عليهما السلام بالذنب، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فقبل الله توبتهما.

واعترفَ الكليمُ موسى عليه السلام فغفر الله له ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦].

ويونسُ عليه السلام ينادي في الظلمات معترفًا: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ولما أرادتْ بلقيس أن تتوب قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٤٤].

فإذا صحَّ اعترافُ العبد بذنبه وتاب توبة نصوحا قَبِل الله توبته، كما ورد في حديث الإفك الطويل أن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».[1]

ثانيًا التوبة التوبة

بادر إلى التوبة، فربُّك يدعوك إلى المسابقة إلى التوبة: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [الحديد: ٢١]

◄ قال السعدي: أمرَ الله بالمسابقة إلى مغفرته ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها....[2]

الإنابة الإنابة قبل غلْقِ بابِ الإجابة، الإفاقة الإفاقة فقد قَرُب وقتُ الفاقَة.[3]

أما آن الأوان للرجوع إلى الرحيم الرحمن ...؟

أما آن الأوان لتوبة صادقة تقلع فيها عن الذنوب والعصيان...؟

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)، مسلم(٢٧٧٠)جزء من حديث الإفك من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٤١)
(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣٤٦)

هل من توبة تندم فيها عمَّا سلف وكان من الذنوب والطغيان ..؟

هل من توبة تعزم فيها على عدم الرجوع لبراثن الشهوات والملذات، واتباع خطوات الشيطان...؟

بادر الآن قبل فوات الأوان .. فالعمر قصير، والزاد قليل، والطريق طويلة، والمآل بيد مَن تبارزه بالعصيان.

أيها الهارب من ربه : غابَ الهدهدُ عن سليمان ساعةً فتوعده بلَفْظ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ فيَا مَن أطال الغيبة عن ربه هل أَمِنتَ غضَبَه؟

أيها المتخلف عن طاعة ربه : تخلّف الثلاثةُ عن الرسول ﷺ في غزوةٍ واحدة فجَرَى لهم ما سمعتَ فكيف بمَن عُمره في التَّخلُّفِ عنه؟!. [1]

أيها المخالف لربه : خالفَ موسى الخضِرَ في طريق الصُّحبة ثلاث مرات، فحَلَّ عُقدةَ الوِصال بيَدِ ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، أفما تخاف يا مَن لم يفِ لربِّه قطُّ أن يقول في بعض زلّاتِك: « هذا فراق بيني وبينك ». [2]

فهل من مُشَمِّر ؟!

شمِّر ما دام البابُ مفتوحًا.. **وعجِّل**.. فرب مُتمهِّلٍ فاتَته حاجتُه

نداء لمن تأخر عن الركب : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر : ٥٣]

يا هذا ويحك لا تحقر نفسَك ! ... فالتائب حبيب والمنكسرُ مستقيم

إقرارك بالإفلاس عينُ الغنى؛ تنكيسُ رأسِك بالندم هو الرفعة ؛ اعترافك بالخطأ نفس الإصابة. [3]

---

(١) البخاري(٤٤١٨)، مسلم(٢٧٦٩)
(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٢٤٤) وبدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٢٢٨)
(٣) بدائع الفوائد (٣/ ٢٣٥)

يا هذا متى تتوب وترجع إلى سيدك ؟

◄ قَالَتْ أُمُّ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ لِابْنِهَا مُحَمَّدٍ: يَا بُنَيَّ، لَوْلَا أَنِّي أَعْرِفُكَ صَغِيرًا طَيِّبًا وَكَبِيرًا طَيِّبًا لَظَنَنْتُ أَنَّكَ أَحْدَثْتَ ذَنْبًا مُوبِقًا لِمَا أَرَاكَ تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَالَ: يَا أُمَّاهُ وَمَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيَّ وَأَنَا فِي بَعْضِ ذُنُوبِي فَمَقَتَنِي؟ وَقَالَ: اذْهَبْ لَا أَغْفِرُ لَكَ .. [١]

ثم اعلم يا مَن تريد التوبة أن :

- **التوبة النصوح :** أن يتوب الرجل من العمل السيئ، ثم لا يعود إليه أبدًا. [٢]
- **التوبة النصوح :** هي الصادقة الناصحة. [٣]
- **التائبون الصادقون :** هم الذين يستغفرون ثم لا يعودون. [٤]

◄ **التوبة النصوح هي :** الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى لا من غيره. [٥]

◄ **التوبة النصوح هي :** أن يقلع العبد عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحق لآدمي ردَّه إليه. [٦]

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص: ١٢٦) حدثني أبو عبد الرحمن سلمة بن شبيب، عن زهير بن عباد، حدثني أبو كثير البصري، قال: قالت أم محمد بن كعب به.

(٢) صحيح : أخرجه الطبري في تفسيره(٢٣/٤٩٣) من طريق شعبة ، وسفيان ، وأبي الأحوص(سلام بن سليم) جميعًاعن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر رضي الله عنه به.

وأخرجه أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/٤٩٤) من طريق الأعمش، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٧٠٢)، والطبري (٢٣/٤٩٤) من طريق سفيان كلاهما عن أبي إسحاق(السبيعي)، عن أبي الأحوص (عوف بن مالك)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به

(٣) حسن: أخرجه الطبري في تفسيره(٢٣/٤٩٤) حدثنا بشر(بن معاذ)، قال: ثنا يزيد(بن زريع)، قال: ثنا سعيد (بن أبي عروبة)، عن قتادة به.

(٤) صحيح: أخرجه الطبري في تفسيره(٢٣/٤٩٤) حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم(الضحاك بن مخلد)، قال: ثنا عيسى(بن ميمون)؛ وحدثني الحارث(بن محمد بن أبي أسامة)، قال: ثني الحسن(بن موسى الأشيب)، قال: ثنا ورقاء (بن عمر) جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٥) تفسير القرطبي (٥/ ٩١)

(٦) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٩)

◄ وقال ابن رجب : أنفع الاستغفار ما قارنتْه التوبة وهي حلّ عقدة الإصرار؛ فمن استغفر بلسانه وقلبُه على المعصية معقود ، وعزمُه أن يرجع إلى المعاصي ويعود ؛ فاستغفاره عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود. [١]

ثالثًا تحرّر من رِق الهوى

إيـاك أن تكون ممن : ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣] تخلَّصْ مِن أسْرِ هواك ، فخيْرُ النَّاسِ مَن أخْرَج الشهوةَ مِن قلبه ، وعصَى هواه وأطاع ربَّه ومولاه.

◄ قال ابن تيمية : المأسورُ مَنْ أسَرَه هَواهُ، والمحْبُوسُ مَنْ حُبِسَ قلبُه عن رَبِّه ومَوْلاه. [٢]

تحرّر مِنْ رِقّ هواك فأعلى اللذات الانتصار على هوى النفس، قال ابن الجوزي: وفي قوة قهْرِ الهوَى لذَّةٌ تَزيدُ على كلِّ لذةٍ؛ ألا تَرى إلى كلِّ مغلوبٍ بالهوى كيف يكون ذليلاً لأنه قُهِر، بخلاف غالِبِ الهوَى فإنه يكون قَويَّ القلب عزيزًا لأنه قَهَر. [٣]

رابعًا حاسب نفسك

لابد للتائب أن يعيش بين محاسبتين:

- محاسبة قبل توبته تقتضي وجوبها.
- ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها.

فالتوبة محفوفة بمحاسبتين، وقد دلَّ عليها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [الحشر: ١٨]

◄ قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢] : إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ يَقُولُ: مَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي : مَا أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي، مَا أَرَدْتُ بِحَدِيثِ نَفْسِي، فَلاَ تَرَاهُ إِلَّا يُعَاتِبُهَا، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَمْضِي قُدُمًا فَلاَ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ . [٤]

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢١٥)
(٢) الوابل الصيب لابن القيم (ص: ٤٨) بتصرف
(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي(ص: ٧٢)
(٤) صحيح : أخرجه أحمد في الزهد(١٦١٦) حدثنا روح، عن قرة بن خالد، سمعت الحسن به.

◀ وقال مالك بن دينار[1] : رَحِمَ اللهُ عبدا قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا ؟ ثم ذمها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا.[2]

والنَّفْسُ كَالطِفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

خامسًا استحِ من نظر الله إليك ووقوفك بين يديه

هل استحضرت الحياء من الله تعالى؟!

تذكر دائمًا ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ ﴾، ولا تنس أبدًا أنه سبحانه ﴿ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾

واعلم أن ربك حييٌ يحب الحياء « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ».[3]

واقبل نُصحَ نبيك ﷺ « اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ ».[4]

ما بالك تستتر من الناس.. وتنسى أن الله يراك ؟!

قال تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٨]

وَإِذَا خَلَـوْتَ بِريبَةٍ في ظُلْمَـةٍ ... والنَّفْسُ داعِيَةٌ إلى الطُّغيان

فاستحي مِن نَظَرِ الإله وقُلْ لَهَا ... إنَّ الَّذي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي

استحضر موقف الحساب والوقوف بين يدي الله

سيأتي اليوم الذي ستقف فيه بين يدي ربك ويقررك بذنوبك

---

(١) أبو يحيى البصري، صدوق، توفي سنة (١٠٣ هـ) أو نحوها.

(٢) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس(٨) ، والخرائطي في اعتلال القلوب (٣٨) من طرق عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار به.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٠١٢) والنسائي (٤٠٦) من طريق زهير بن معاوية قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، عن يعلى بن أمية رضي الله عنه به.

(٤) حسن : أخرجه أبو داود (٤٠١٧) والترمذي (٢٧٦٩) والنسائي في الكبرى(٨٩٢٣) وأحمد(٢٠٠٣٤) وابن ماجه (١٩٢٠) وغيرهم من طرق عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عن النبي ﷺ .

وأخرجه البخاري تعليقًا في صحيحة كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، ومن تستر فالتستر أفضل.

عن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] ».[١]

◄ قال ابن رجب : هَبْ أَنَّه تجاوزُ عن الزَّلل، فأين ما يلقاه العاصي عند تقريره بذنوبه مِن الحياء والخجل ؟

العارفون يشتد قلقهم من الحياء من الله عند الوقوف بين يديه.

أستغفِرُ الله ممّا يَعلَمُ الله ... إنَّ الشَّقيَّ لَمَن لا يَرحَمُ الله
هَبهُ تَجاوَز لِي عَنْ كُلِّ مَظْلَمَةٍ ... يَا سَوْأَتَا مِنْ حَيَائِي يَوْمَ أَلْقَاهُ
ما أحلمَ الله عمن لا يُراقبُه ... كُلُّ مُسيءٌ ولكن يَحلمُ الله
فاسْتَغفِرُ الله مما كان من زَللٍ ... طُوبى لمن كَفَّ عما يَكرهُ الله[٢]

إياك وذنوب الخلوات

الحذر الحذر من الذنوب خصوصًا ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عين الله

احذر : فإن ذنوب الخلوات تؤدي إلى الانتكاسات ، وتخذل العبد عند الممات.

◄ قال ابن رجب : خاتمةُ السوء تكون بسبب دَسيسةٍ باطنة للعبد لا يطَّلع عليها الناس.[٣]

إياك أنْ يكونَ اللهُ أهونَ النَّاظرين إليك، ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ ﴾ [النساء: ١٠٨]

(١) رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨)
(٢) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٦٥)
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٢)

عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا » ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: « أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا ».[1]

إذَا مَا خَلَوتَ الدهْرَ يَومًا فَلا تَقُل ... خَلَوتُ وَلكن قُل عَلَيّ رَقيب
وَلا تَحْسَبَن الله يَغْفُل ساعةً ... وَلا أن مَا يَخْفى عَلَيْه يَغيب

سادسًا لا تغتر بحلم الله عليك

استشعر أيها التائب برَّ ربك سبحانه في ستره عليك حال ارتكابك المعصية مع كمال رؤيته لك، ولو شاء لفضحَك بين الخَلْق فأبغضوك، ولكن لكمال برّه سبحانه أسدل سِترَهُ عليك فأحبوك وقربوك.

وشاهد حلم الله تعالى عليك في إمهالك في ارتكاب الخطايا، ولو شاء لعاجلك بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعاجل من عصاه بالعقوبة .

وتأمل كرمه سبحانه فإنه يقبل توبة التائب، ويفرح بها مع غناه عنها.

سابعًا تخلص من أسر الذنوب

خلِّص نفسَك من أسْرِ الذنوب ، وتأهَّب لخلاصك فأنت مطلوب ، وارجع إلى علام الغيوب ، عساه أن يغفر الإثم والحُوب.

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥) والطبراني في الشاميين (٦٨٠) من طرق عن عقبة بن علقمة بن حديج المعافري، عن أرطاة بن المنذر، عن أبي عامر الألهاني، عن ثوبان ﷺ به.

ولكي تتخلص من الذنوب فلابد لك من أمور:

١ أحْكِم الإغلاق

اعلم أن للشيطان مداخل على الإنسان، جِماعها أربعة أبواب، فأغلقها وأحكم إغلاقها:

البـــاب الأول " النظـــرة " : فالنظرة هي رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، فمن أطلق بصره أورد نفسه موارد المهلكات.

عن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رضي الله عنه أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال لِعَلِيٍّ رضي الله عنه : « يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ ».[١]

الباب الثاني " الخطرة " :

وأما الخطرات : فشأنها أصعب، فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قادته قهرا إلى الهلكات.[٢]

الباب الثالث " اللفظة " :

وأما اللفظات فحفظها بأن لا يخرج لفظةً ضائعة، وأن لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أو لا ؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها.[٣]

---

(١) حسن لغيره: رواه أبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧) وأحمد(٢٢٩٩١) وغيرهم من طرق عن شريك، عن أبي ربيعة الإيادي ، عن ابن بريدة (عبدالله)، عن أبيه به. وشريك هو ابن عبد الله القاضي : سيئ الحفظ، وأبو ربيعة: مقبول.
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٧٥١٢)،وأحمد (١٣٦٩)، والخرائطي في اعتلال القلوب(٢٨٣) وابن حبان في صحيحه(٥٥٧٠) والطحاوي في مشكله(١٨٦٥) من طرق عن حماد بن سلمة , عن محمد بن إسحاق , عن محمد بن إبراهيم , عن سلمة بن أبي طفيل , عن علي رضي الله به. فيه سلمة بن أبي طفيل ذكره البخاري وأبو حاتم ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً. ومحمد بن إسحاق يدلس وقد عنعن.
وأخرجه البزار في مسنده(٧٠١) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي رضي الله عنه به. وفيه النعمان : مقبول، وعبدالرحمن هو الواسطي : ضعيف. وبالجملة فهو يحسن لغيره.
(٢) الداء والدواء (ص: ١٥٤)
(٣) الداء والدواء (ص: ١٥٨)

الباب الرابع " الخطوات " :

وحفظها : أن لا يَنقل قدمَه إلا فيما يرجو ثوابه عند الله تعالى، فإن لم يكن في خطاه مزيد ثواب؛ فالقعود عنها خير له، ويمكنه أن يستخرج من كل مباح يخطو إليه قربة يتقرب بها، وينويها لله، فتقع خطاه قربة، وتنقلب عادته عبادة، ومباحاته طاعات.[1]

٢ اجعل بينك وبين المعصية مسافة

من أعظم ما يعينك على التوبة ، أن تجتنب كل ما يذكرك أو يوصلك للمعاصي ، سواء كان صديقا، أو خلوة، أو برامج تواصل، كما قال الله تعالى في حق الخمر والميسر وغيرهما: ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠]

فقوله ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ أي اجتنبوا كلَّ السبل التي توصلكم إلى ذلك.

وكيف يكون ذلك ؟

أ اترك المكان الذي كنتَ تَعصي الله فيه

كما فعل الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً حين قال له العالم : « انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ».[2]

ب غيِّر أصدقاء السوء

ابتعد عن رفقة السوء فإن الطبع سرَّاق، والطيور على أشكالها تقع، وكلُّ قرين بالمقارن يقتدي؛ واعلم أنهم لن يتركوك تسير إلى الله؛ فغيّر رقم هاتفك ، وغيّر عنوان منزلك إن استطعت ، وغيّر الطريق الذي كنت تمرّ منه .. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ».[3]

---

(١) الداء والدواء (ص: ١٦١)

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد(٨٤١٧ ، ٨٠٢٨) وغيرهم من طرق عن زهير بن محمد، قال: حدثني موسى بن وردان، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

ج ألق بها في اليم

لابـد لـك - أيها التائب - أن تفارق دواعي المعصية أيًّا كانت، لأن رؤيتها تذكِّرُك بالمعصية ، وتُحرِّك في نفسك الداعي إليها، فتقع في حِبال الشهوة، وتدخل أسْرَ الشيطان بعد أن خرجتَ منه، ولا تزال النفسُ الأمارة بالسوء تُراودُك حتى تَعصي ربك. وتأمل قول موسى عليه السلام للسامري: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: ٩٧]

مع أنَّ العِجْلَ كان مِن الذهب والحُلي إلا أنَّ موسى عليه السلام لم يتردد في إحراقه ونسْفِه في اليمِّ لما في بقائه من الفتنة.

◄ قال السعدي: لمّا أُشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، أراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وَجْهٍ لا تمكن إعادتُه بالإحراق والسحق وذَرْيِه في اليمِّ ونسفِه، ليزول ما في قلوبهم من حُبِّه، كما زال شخصُه، ولأن في إبقائه محنة، لأن في النفوس أقوى داعٍ إلى الباطل.[1]

وتأمل دعوة يوسف حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤]

فاختار عليه السلام السجن على المعصية، ولجأ إلى الله، واحتمى بحماه، وسأله أن يخلِّصه من أسباب المعاصي، فاستجاب له السميع العليم سبحانه.

د لا تقترب من مواطن الفتن والشهوات وتدَّعِي الصبر

لأن القلـوب ضعيفـة والفتن خطَّافة ، والسلامة لا يعدلها شيء ، لذلك فعليك أن تنأى بنفسك عن مواطنها ومظانها فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ الغَنَمُ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ.[2]

(١) تفسير السعدي (ص: ٥١٢)
(٢) البخاري(٦٤٩٥)

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، قال: ايم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ .[1]

وكرّر النبي ﷺ الجملة ثلاثاً مبالغة في التأكيد على التباعد عن مواطن الفتن.

◄ قال ابن الجوزي : من قارب الفتنة، بعُدَت عنه السلامة، ومَن ادعى الصبر، وُكِلَ إلى نفسه.[2]

٣ كلما دعتك نفسُك للمعصية فاستعذ بالله

إذا دعتْكَ نفسُك إلى نقض العهد مع الله ، فقل لها : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].[3]

إذا دعتْك نفسُك إلى معصية فقل لها :

يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ العِصْيَانِ واكْتَسِبِي ... فِعْلاً جَمِيْلاً لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنِي

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ تُوبِي واعمَلِي حَسَنًا ... عَسى تُجَازَيْنَ بَعْدَ الموتِ بِالحَسَنِ

فالنفس تدعو إلى الطغيان ، وإيثار الحياة الدنيا ..

والربُّ تعالى يدعو عبدَه إلى طاعته وخوفه، ونهْي النفس عن الهوى ، والقلب بين الداعيين ، يميل إلى هذا الداعي مرة .. وإلى هذا مرة .. وهذَا موضع المحنة والابتلاء [4]

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٦٣) من طريق الليث بن سعد، والبزار في مسنده(٢١١٢)،والطبراني في الكبير(٥٩٨) من طريق عبدالله بن صالح. كلاهما عن معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير، حدثه عن أبيه، عن المقداد رضي الله عنه به.
(٢) صيد الخاطر (ص: ٢٦)
(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٦٣)
(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٥)

٤ لا تسترسل مع خطرات الشيطان

قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨ ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]

وهمزات الشيطان هي نزغات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى الموقعة في معصيته.

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

◄ قال ابن القيم : دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة، فدافع الفكرة فإن لم تفعل صارت شهوة، فحاربها فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلا، فإن لم تتداركه بضده صار عادة، فيصعب عليك الانتقال عنها. [١]

٥ لا تستصغر ذنبًا

لا تحتقر ذنبًا فقد « عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ ». [٢]

« وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ». [٣]

احتقار الذنب دليلٌ على الجهل بقدر مَن عصيته، والجهل بسوء عاقبة المعصية.

قال الله تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ [النور:١٥].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ. [٤]

---

(١) الفوائد (ص : ٣١)

(٢) رواه البخاري (٢٣٦٥) ومسلم (٢٢٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

(٤) صحيح: أخرجه أحمد(٢٢٨٠٨) حدثنا أنس بن عياض، حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه به.

◀ قال بلال بن سعد [١] : لا تنْظُر إلى صِغَرِ الْخطيئة ولكِنْ انظُرْ مَنْ عصيتَ.[٢]

◀ قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إنَّ المؤْمِنَ يَرَى ذنُوبَه كأنَّه قاعدٌ تحتَ جبَلٍ يخافُ أنْ يقَعَ عليه، وإنَّ الفَاجِرَ يرَى ذنوبَه كذُبابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، فَطَارَ.[٣]

◀ وعنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قالَ: إنَّكمْ لتَعملون أعمالًا، هيَ أدَقُّ فِي أعينكم مِن الشَّعَرِ، إنْ كنَّا لنَعُدُّها علَى عهْدِ النَّبيِّ ﷺ مِن المُوبِقَاتِ. قال البخاري: يعني بذلك المهلكات.[٤]

٦ اذكر ذنبك بالندم والخوف لا بالفخر والعجب واستر على نفسك

أيها التائب لِيَكنْ ذكرُك لذنبك ذكرَ انكسار وافتقار، واحذر أن يكون ذكر إعجاب وافتخار، حتى تنال مغفرة الرحيم الغفار : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [النساء:١٤٨]

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ ».[٥]

◀ قال ابن حجر : سِتْرُ اللَّه مستلْزِمٌ لسِتْرِ المؤمنِ علَى نفْسهِ فمَنْ قصَدَ إظهارَ المعصيةِ والمجاهرةَ بها أغضَبَ ربَّهُ فلمْ يستُرْه ومَنْ قصدَ التَّستُّر بها حيَاءً مِنْ ربِّهِ ومِنَ النَّاسِ ، مَنَّ اللَّهُ عليه بسَتْرِه إيَّاه.[٦]

◀ قال ابن بطَّالٍ [٧] : فِي الجَهْرِ بالمعصيةِ اسْتخفافٌ بحقِّ اللَّهِ تعالى ورسولِهِ ﷺ وبصالِحِي المؤمنِين ، وفيه ضَرْبٌ مِنَ الْعنادِ لَهم.[٨]

---

(١) أبو عمر، ثقة عابد من الثالثة من الوسطى من التابعين، مات في خلافة هشام، توفي سنة نيف وعشرة ومائة من الهجرة.
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في الزهد (٢٢٦٧)، والنسائي في الكبرى(١١٨٥٤) من طرق عن الأوزاعي عن بلال بن سعد به.
(٣) البخاري (٦٣٠٨) موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري (٦٤٩٢)
(٥) رواه البخاري (٦٠٦٩)، مسلم(٢٩٩٠)
(٦) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٨)
(٧) أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، توفي (٤٤٩ هـ)
(٨) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٧)

مِن صدْقِ توبتكَ أنكَ كلما ذكرتَ ذنبك اضطرب قلبُك وبكت عينُك .

يا نادمًا علَى الذنوبِ، أين أثَرُ ندمِكَ ؟ أينَ بكاؤُكَ علَى زلَّةِ قدمِكَ ؟

أين حذرك من أليم الْعِقَابِ ؟ أَيْن قلقُكَ مِنْ خوفِ العتَابِ ؟

أتعتقدُ أنَّ التوبةَ قولٌ باللسانِ ! إنما التوبةُ نارٌ تحرقُ الإنسانَ.

جَرِّدْ قلبَكَ مِن الأقذارِ، ثمَّ أَلْبِسْهُ الاعتذارَ، ثمَّ حَلِّهِ حُلَّةَ الانكسارِ، ثمَّ أقمْهُ علَى بابِ الدارِ.[1]

٧ إذا رأيتَ معصية فأنكرها ولو بقلبك

من علامة صدق توبتك أن تنكر المنكرات ولا ترضى بها ولا تركن إليها.

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».[2]

وعن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله عنهما : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ».[3]

فصاحبُ القلبِ الصحيحِ الحَيِّ إذا عُرضت عليه القبائح نَفَر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها.[4]

◄ فإذا وجد القلب حلاوة الإيمان أحسَّ بمرارة الكفر والفسوق والعصيان، ولهذا قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف ٣٣]

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٧١)
(٢) رواه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم (١٤٤)
(٤) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠)

٨ تذكَّر عواقب المعاصي والعصاة

ينبغي لك أيها التائب أن تذكِّر نفسك دائمًا بالآثار السيئة التي حصدتها بسبب كثرة المعاصي، والذنوب من فشل في الكثير من الأعمال، وكراهية من حولك، وضيق زرقك، وغير ذلك، وأن تفكر في المكاسب التي ستجنيها من وراء تجنبك للذنوب، والمعاصي، وحتماً هذا سيشجعك على تجنب المعاصي و الذنوب.

تذكَّر قبل أن تعصي أن :

الذنوب : تُزيل النعم، وتحل النقم، فما زالت نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب.[١] وما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا يُرفع إلا بتوبة.

إن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق.[٢]

كل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة، فسببه الذنوب، ومخالفة أوامر الرب فليس في العالم شر قط إلا الذنوب وموجباتها.[٣]

دع عنك ما قد فات في زمن الصبي.

دَعْ عنْكَ ما قد فات في زمن الصِّبا ... واذْكُر ذُنوبَكَ وابْكِها يا مُذنبُ
واخشَ مناقشةَ الحِسابِ فإنَّه ... لابُدَّ يُحصَى ما جَنَيتَ و يُكتَبُ
لم يَنْسهُ الملَكان حين نَسيتَه ... بل أثبتاه وأنتَ لاهٍ تَلعبُ
والرُّوحُ فيك وديعةٌ أُودِعْتَها ... سترُدُّها بالرّغمِ مِنْكَ وتُسْلَبُ
وغرورُ دنياك التي تَسعَى لها ... دارٌ حقيقتها متاعُ يَذهبُ

(١) الداء والدواء (ص: ٧٤)
(٢) الوابل الصيب (ص: ٣٠)
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٢٤)

ماذا لو أذنبت بعد ذلك ؟

من طبيعة الخلق أن يذنبوا ويخطئوا ويقصروا فكل بني آدم خطاء وخيرهم من يسارع إلى التوبة، يقول الله تعالى في الحديث القدسي : يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.[1]

إشراقة

يا ابن آدم تغلق بابك، وترخي سترك، وتستحي من الناس، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، ولا تستحي من الجليل الذي لا تخفى عليه خافية .

وَمَن الذي ما أساءَ قَطْ ... ومِن له الحُسنَى فقطْ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ».[2]

◄ ويرد الإمام الطيبي على هذا فيقول : لم يورد هذا الحديث ليس تسلية للمنهمكين في الذنوب، علي ما يتوهم الغرة، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب؛ بل ورد بيان عفو الله عن المذنبين، وحسن التجاوز عنهم، ليعظموا الرغبة في التوبة والاستغفار.[3]

وأبـواب التوبة مفتوحة حتى تطلع الشمس من مغربها، أو ما لم يغرغر العبد وتبلغ الروح الحلقوم والأدلة على ذلك واضحة لا تحتاج إلى بيان.

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الآثِمُ

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمن ذَا يرحم[4]

(١) مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ.
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٩)
(٣) شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٨٤٠)
(٤) الثبات عند الممات لابن الجوزي (ص: ١٦٧)

فإذا وقعت في الذنب بعدما سبق فعليك بهذه الخطوات :

أ لا تقنط من رحمة الله

لا تيأسنَّ من رحمة ربك.. ولا تقولنَّ: إن ذنوبي كثيرة.. فإن رحمة الله أعظم من ذنوبك.. وإن عفوه وسع السماوات والأرض: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣]

أليس من سعادة التائبين.. أن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

أليس من سعادة التائبين.. أنه تعالى يفرح بأوبة الراجعين.. وإقبال المذنبين.

قال رسول الله ﷺ: « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا ».[١]

اعلم أن أنين المذنبين أحبُّ إليه من زَجَلِ المسبحين، لأن زَجَلَ المسبحين ربما شَابَه العُجْب والافتخار، وأنين المذنبين يُزيِّنه الانكسار والافتقار.[٢]

ويحك ! لو عرفتَ قدْرَ نفسِك ما أهنتَها بالمعاصي، وكأن الله يقول لك : إنما أبعدنا إبليس لأجلك، لأنه لم يسجد لك، فالعَجَب منك كيف صالحته وهجرتنا ![٣]

ب إذا وقعتَ فقُمْ سريعًا وإياك والإحباط

لابد لك أيها السائر أن تتحلى بالتفاؤل، وعدم اليأس، وأن تتوفر لديك القدرة على تلافي الأخطاء، وسرعة النهوض، والخروج من الأزمات، وتحويل الخسائر إلى أرباح.

واعلم أنه لابد أن تعتريك آفات وسقطات، وتواجهك في طريقك عوائق وزلّات؛ إذ الوصول إلى النجاح الكبير غالبًا يَسبقه إخفاق؛ فليس الناجح هو الذي لا يسقط، بل الناجح حقًا هو الذي يقوم من سقوطه سريعًا، وقد استفاد من سقوطه.

وقد وصف الله تعالى المتقين في كتابه بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢١)
(٣) المدهش لابن الجوزي (ص: ٣٤٠)

◄ قال ابن رجب : فدلَّ على أن المتقين قد يَقع منهم أحيانا كبائرُ وهي الفواحش، وصغائرُ وهي ظلمُ النفس، لكنهم لا يُصرون عليها، بل يذكرون اللهَ عَقِبَ وقوعها، ويستغفرونه ويتوبون إليه منها.[1]

◄ قال ابن القيم: فالذنب بمنزلة المرض، والتوبة بمنزلة العافية، والعبدُ إذا مرض ثم عُوفي وتكاملت عافيتُه رجعتْ صحتُه إلى ما كانت، بل ربما رجعت أقوى وأكمل مما كانت عليه، لأنه ربما كان معه في حال العافية آلام وأسقام كامنة، فإذا اعتلَّ ظهرت تلك الأسقام ثم زالتْ بالعافية جملةً فتعود قوته خيرًا مما كانت وأكمل،
وفى مثل هذا قال الشاعر:

لعلَّ عَتْبك محمودٌ عواقبه ... وربما صحَّتِ الأجسامُ بالعلل[2]

قوافل التائبين تسير .. وجموع المنيبين تُقبل، وباب التوبة مفتوح ..
وداعي التوبة يدعوك : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]

لقد كان الفضيل بن عياض قاطعًا للطريق .. وكان يعشق جارية..
فبينما هو ذات ليلة يتسوَّر عليها الجدار، إذ سمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى :
﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦] ..
فأطرق مليًا.. ثم تذكَّر غدراتِه، وذنوبَه، تَذَكَّرَ إسرافَه..
فما كان منه إلا أن ذَرَفَ دموع التوبة، من عين ملؤها اليقين برحمة الله..
فتاب وأقلعَ عما كان عليه حتى أصبح مِن أهل الخير والصلاح في زمانه.[3]

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٦٠)
(٢) طريق الهجرتين لابن القيم(ص: ٢٣٢)
(٣) راجع التوابين لابن قدامة (ص: ١٢٧)

ج أتْبِع السيئة الحسنة تمحها

إذا غلبتكَ نفسُك على معصية فأتْبعها بحسنة تمحها ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾ [هود: ١١٤]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ فَنَزَلَتْ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾ [هود: ١١٤]

قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذِه ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: « لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي ».[1]

◄ قال ابن رجب : لما كان العبدُ مأمورا بالتقوى في السرِّ والعلانية مع أنه لا بد أن يقع منه أحيانا تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات، أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره أن يفعل ما يمحو به هذه السيئات وهو أن يتبعها بالحسنات.[2]

◄ قال ابن تيمية : المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب :

أحدها : أن يتوب توبة نصوحًا ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثاني : أن يستغفر الله فيغفر الله تعالى له.

الثالث : أن يعمل حسنات يمحوها لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾.

الرابع : أن يدعو له إخوانه المؤمنون ويشفعون له حيًا وميتًا.

الخامس : أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به.

السادس : أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

السابع : أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يحب ونحو ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨) ومسلم (٢٧٦٣)

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤١٢)

الثامن : أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة وهي عصر القبر، فيكفِّر بها عنه.

التاسع : أن يبتليه الله في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفِّر عنه.

العاشر : أن يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه.[1]

وبعد الانتهاء من خطوات التخلية أن الأوان للقلب أن يشعر بلذة الطاعة وحلاوة الإيمان التي هي بمثابة قوته وغذائه.

إشراقة

قال ابن رجب : إذا وجد القلب حلاوة الإيمان أحس بمرارة الكفر والفسوق والعصيان ولهذا قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف ٣٣].[2]

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٥)

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥٨)

خطوات التحلية

أولاً اعرف ربك حق المعرفة

أول الطريق وأوسطه وخاتمته معرفة العبد لربه ومعرفته لقدْر نفسه، فيتفكر المؤمن في فقره مع غنى ربه، وضعفه مع قوة ربه، وذلته مع عزة ربه، فيشعر بقيمته الحقيقية دون زيف أو ادعاء قدرة، فيوقن أنه لا يقدر على فعل شيء إلا بإذن ربه، ويعلم أنه لا يصل بعقله لنفع نفسه بل الخير كل الخير في اتباعه لأوامر ربه والانتهاء عن نواهيه.

ومعرفة الرب سبحانه نوعان:

- الأول : معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس ؛ البر والفاجر والمطيع والعاصي.
- والثاني : معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيتَه، والإنابةَ إليه، والأنسَ به، والفرار من الخلق إليه، وهذه لأهل الإيمان خاصة.

ولهذه المعرفة بابان واسعان:

- الباب الأول : التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله ورسوله ﷺ.
- والباب الثاني : التفكر في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط، وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها.[1]

استشعر عظمة اللَّه

- استشعر عظمة ربك ، فعلى قدر إجلالك لله وتعظيمك له تكون الهداية والتوفيق،

قال تعالى في وصف عباده المؤمنين : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]

أي خافت وفزعت لمجرد ذكر الله استعظاماً لشأنه، قال الزَّجَّاجُ: المعْنَى إذا ذُكِرَتْ عَظمتُه وقُدْرتُه وما خُوِّفَ به مَنْ عصاه فَزِعَتْ قلوبُهُمْ.[2]

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٧٠)
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٨٨)

فالْمُؤْمِنُونَ الكاملون المخلصون هم الذين إذا ذُكِر اللَّهُ أي حقه أو وعيده وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ أي فزعت لذكره، واقشعرت إشفاقا ألا تكون قامت بحقه، وتهيبا مِن جلاله وعزة سلطانه، وبطشه بالعصاة وعقابه.[1]

ثانياً اعرض عملك على سنة النبي ﷺ

الهداية كل الهداية في اقتفاء آثار رسول الله ﷺ، لأنَّ كلَّ الطرق إلى الله مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته.[2]

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]

فإذا أردتَ أن تضبط سيرك إلى الله فاعرض نفسَك دائما على الميزان الأكبر وهو سنةُ رسول الله ﷺ.

◄ قال سفيان بن عيينة[3]: إنَّ رسول الله ﷺ هو الميزانُ الأكبر، فعليه تُعرض الأشياء، على خُلُقه وسِيرته وهَدْيه، فما وافقها فهو الحقُّ، وما خالفها فهو الباطل.[4]

فالرسول ﷺ هو أسوتنا، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

◄ قال ابن كثير: هذه الآيةُ الكريمةُ أصلٌ كبيرٌ في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله.[5]

---

(١) تفسير القاسمي (٥/ ٢٥٥)
(٢) مدارج السالكين (٣/ ١١٨)
(٣) ثقة حافظ فقيه، توفي سنة (١٩٨ هـ) بمكة
(٤) صحيح: أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٩)
(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١)

◄ قال السعدي : الأسوة نوعان : أسوة حسنة، وأسوة سيئة

فالأسوة الحسنة ، في الرسول ﷺ فإن المتأسِّي به ، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره ، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة.

والأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ.[1]

ومن كمال الاقتداء بالسنة : فعل كل ما ثبت عنه ﷺ وتتبع السنن ولزومها والحرص على أدائها بآدابها، وعدم الاقتصار على سنَّةٍ دون سنةٍ، وكذلك عدم هجر شيء منها أو تعطيلها.

احذر المخالفة : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]

أي فليحذر من لم يتبع الرسول ﷺ في أقواله وأعماله ظاهرًا وباطنًا أن يطبع الله على قلبه ويزين له سوء عمله، فيراه حسنًا فيزداد شرًا على شر أو يصيبه الله بعقاب عاجل مؤلم لا يتخلص منه مع ما أعدَّ له في الآخرة من النكال والإهانة.

ثالثاً ابدأ بداية جادة

أيها السائر إلى الله : بدايتك ترسم صورة نهايتك، فعلى قدر الجدية في البداية على قدر ما تسلَم لك النهاية.

ومن لم يكن له في بدايته احتراق، لم يكن له في نهايته إشراق، ومَن جدَّ في شبابه ساد في شيخوخته.

واعلم أن السير إلى الله جَدٌّ وليس بالهزل ، فأول الطريق جهاد وأوسطه هداية وآخره قرب ومعية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٦١)

وتذكر : ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣]، ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]

وتذكر أن في القرآن : سارعوا ، وسابقوا ، وجاهدوا ، وصابروا ، ورابطوا.

وفي السنة : « احرص على ما ينفعك[١] » و « بادروا بالأعمال[٢] ».

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعًا ... ألا فاجعله ماضيا بالجوازم

وتذكر أن : من ثبت نبت، ومن جد وجد، ومن زرع حصد، ومن صبر ظفر، ومن عَزّ بَزّ..

النملة تكرر الصعود ألف مرة، والنحلة تذهب كرةً بعد كرة

الكسول مخذول، والفارغ بطال، وصاحب الأماني مفلس.

رابعًا وازن بين الخوف والرجاء

أيها السائر : من أهم المهمات أن توازن بين الرجاء والخوف حال سيرك إلى الله ، وهذا هو منهج أئمة السائرين إلى الله ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

◄ قال ابن تيمية : فالخوفُ يَمنعُ العبدَ أن يخرج عن الطريق ، والرَّجاءُ يَقودُه ويحدو به.[٣]

ففي حال الصحة والقوة ينبغي أن تغلّب جانب الخوف حتى لا تغترّ

وأما في حال المرض أو الضعف فغلِّب جانب الرجاء حتى لا تيأس أو تقنط من رحمة الله ، لكن مع الجمع بين الرجاء والخوف في جميع الأحوال.

◄ قال ابن تيمية : ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا ، فأيهما غلب هلك صاحبه؛ لأن مَن غَلَب خوفُه وقع في نوع من اليأس ، ومَن غَلَب رجاؤُه وقع في نوع مِن الأمن من مكر الله.[٤]

---

(١) مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) مسلم (١١٨)

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٩٥) باختصار وتصرف

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٥٩)

خامسًا تعاهد إيمانك

اعلم أيها السائر في طريق الهداية : أن الإيمان يَقوى ويَضعُف ويَزيد ويَنقُص ويَبلى كما يبلى الثوب فيحتاج إلى تجديد وتعاهد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦]

أي حافظوا على إيمانكم، استمروا فيه، لا تغفلوا عنه.. لا تفتروا عن المحافظة عليه.. لا تفتروا عن معاهدته ورعايته وتغذيته وتقويته

◄ قال ابن كثير : يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه.[١]

إن قلب الإنسان سريع التقلب، سريع النسيان، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكُّر، تبلَّد وقسى، وانطمس نوره، وأظلم وأعتم، فلابد من تذكير القلب.. ولابد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبلد والقساوة : ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ﴾ [الحديد: ١٦]

ولك أن تسأل .. كيف أجدد الإيمان في قلبي؟

الجواب : بتعريض القلب إلى بيئة الطاعة، بالصلوات والزكوات، والصيام والحج والعمرة والصدقة، وزيارة المرضى والإحسان إلى الفقراء والإحسان إلى اليتامى، وقراءة القرآن والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار، وكل عمل صالح يجدد الله عز وجل به إيمانك.

◄ قال ابن القيم : شجرة الإيمان في القلب إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كلَّ وقت بالعلم النافع والعمل الصالح والعود بالتذكُّر على التفكر والتفكر على التذكر، وإلا أوشكت أن تيبس.[٢]

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٤)

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٣٤) بتصرف

◄ كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأصحابه: هلُمُّوا نزدادُ إيمانًا، فيذكرون الله عز وجل.[1]

◄ وعن الأسودِ بن هِلال المُحاربيِّ ، قال : كان مُعاذٌ ﷺ يقولُ لرجلٍ مِنْ إخوانه : اجْلِسْ بنا فلنؤمنْ سَاعةً ، فيجلسانِ يتذاكران اللَّهَ ويَحْمَدانه.

وقَالَ أيضًا : قال لِي مُعَاذ بن جبل ﷺ : اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً ، يَعْنِي نَذْكُرُ اللَّهَ.[2]

سادسًا خذ نفسك بما تطيق حتى لا تنقطع

عليك أيها السائر أن تعرف من أنت؟ وما هي قدراتك؟ وما مدى طاقتك؟ فلا تحمِّل نفسَك فوق ما تطيق، حتى تُقبل على العبادة بنفس منشرحة.

فعَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: « أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » وَقَالَ: « اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ».[3]

فمَنْ عمل عملا يَقوَى عليه بدنُه في طول عمره في قوته وضعفه، استقام سيرُه، ومَنْ حمَلَ ما لا يطيق فإنه قد يَحدث له مرضٌ يَمنعُه مِن العمل بالكلية، وقد يَسأمُ ويَضجر فيَقطع العملَ فيَصير كالمُنْبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرا أبقى.[4]

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ، فَقَالَ: « مَا بَالُ هَذَا ؟ » قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ »، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ.[5]

فعليك بما تطيق ، لأن الله لن يحاسبنا إلا بما أعطانا من القدرات والطاقات، وكل بحسبه؛ فبقدر ما أعطاك سيحاسبك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة (٣١٠٠٣) والخلال في السنة (١٥٨٤) والآجري في الشريعة(٢١٧) من طرق عن محمد بن طلحة ، عن زبيد اليامي ، عن زر بن حبيش ، عن عمر بن الخطاب ﷺ به.

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٨٤٣)، وأحمد في السنة(٧٩٦)، والخلال في السنة(١١٢١)، وأبو عبيد في الإيمان(٢٠) من طرق عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال عن معاذ ﷺ به . ورواه البخاري في الصحيح معلقًا كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: "بني الإسلام على خمس"

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٥)، مسلم(٧٨٢)

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢٦)

(٥) رواه البخاري (١٨٦٥) ومسلم (١٦٤٢)

سابعًا تعامل مع نفسك بمبدأ الثواب والعقاب

فَطَرَ اللَّه الإنسان على حبِّ الثواب، وما يتبعه من لذَّة ونعيم، كما فطره على بُغض العقاب، وما يَتَرَتَّب عليه من ألَم وشقاء، والنفس لا تستقيم على طريق الهداية إلا إذا تعامل معها العبد بهذا المبدأ، فإذا بذلت الجهد في الطاعة كافأها بما يناسب حالها، وإذا قصرت أو زلَّتْ عن الطريق عاقبها عقوبة تتناسب مع قدر جرمها حتى تعود إلى رشدها، وهذا المنهج مستلٌّ من صميم الشرع.

ولا أدلّ على هذا المبدأ من قول عائشة رضي الله عنها في وصف القرآن حين قالت: إنَّما نزَلَ أوَّلَ ما نَزلَ مِنْ القرآن سُورَ مِنَ المُفَصَّلِ، فيها ذِكْرُ الجنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذا ثَابَ الناسُ إلَى الإسْلامِ نزَلَ الحلالُ والحَرَامُ، ولَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شيْءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لقالُوا: لا ندَعُ الخمْرَ أبدًا، ولوْ نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لقَالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا.[1]

كافئ نفسك على الطاعة

هذا ابن الجوزي يحكي لنا تجربته مع نفسه: كنتُ أقرأ خمسة أجزاء من القرآن كل يوم، فتناولت يومًا طعاما قليلاً لا يصلح، فلم أقدر في ذلك اليوم على قراءتها، فقلت: إن لقمة تُعين على قراءة خمسة أجزاء، بكل حرف عشر حسنات، إن تناولها لطاعة عظيمة! وإن مطعمًا يؤذي البدن، ويفوِّت فعل خير ينبغي أن يهجر![2]

وكذلك في حال التقصير ينبغي أن يكون لك معها وقفة

قال ابن قدامة[3]: فإذا حاسب الإنسان نفسه فرأى منها تقصيرًا، أو فعلت شيئًا من المعاصي فلا ينبغي أن يهملها، فإنه يسهل عليه حينئذ مقارفة الذنوب ويعسر عليه فطامها، بل ينبغي أن يعاقبها عقوبة مباحة كما يعاقب أهله وولده.[4]

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٣)
(٢) صيد الخاطر (ص: ٤٦٠) بتصرف
(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، توفي (٦٨٩ هـ)
(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٧٤)

◀ قال مالك بن دينار : رحم اللهُ عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبَة كذا؟ ألستِ صاحبَة كذا؟ ثم ذمَّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتابَ الله تعالى، فكان لها قائدًا.[١]

◀ قال عبد الله بن وَهْب[٢] : نذرتُ أني كلما اغتبتُ إنسانا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانا، أن أتصدق بدرهم، فمِن حُبِّ الدراهم تركت الغِيبة !.[٣]

◀ قال الذهبي : قلت: هكذا – والله – كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع.[٤]

ثامنًا ضع نفسك في بيئة إيمانية

مما لا شك فيه أن الناس كأسراب القَطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، والصديق له تأثير كبير على صديقه؛ لكثرة مخالطته، وشدة ملازمته، فكما أنه ليس كل بيت يصلح للسكنى، ولا كل راحلة تصلح للركوب، فكذلك أبناء آدم لا يصلح كلهم للصحبة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً".[٥]

◀ قال الحافظ ابن حجر : المعنى لا تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وَطيئًا سهلَ الانقياد، وكذا لا تجد في مائة مِن الناس مَن يَصْلُح للصحبة بأن يُعاوِنَ رَفيقَه ويُلين له جانِبَه.[٦]

---

(١) حسن : أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٣٨) وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس له (٨)من طرق عن جعفر بن سليمان، سمعت مالك بن دينار به.

(٢) أبو محمد المصري الفقيه، توفي سنة ١٩٧هـ

(٣) صحيح: رواه أبو حاتم كما في سير أعلام النبلاء(٩/٢٢٨) من طريق حرملة بن يحيى، وأخرجه ابن حمكان في الفوائد والأخبار (٩٦) من طريق يونس بن عبد الأعلى، كلاهما عن ابن وهب به.

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٨)

(٥) راوه مسلم (٢٥٤٧)

(٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ».[1]

◄ قال أبو سليمان الخطابي[2] : قوله: «المرء على دين خليله » معناه : لا تخالل إلا مَن رَضيتَ دينَه وأمانتَه فإنَّك إذا خاللْتَه قادَكَ إلى دينِه ومذهَبِه، ولا تُغرِّر بدينك، ولا تُخاطر بنفسك، فتخالل مَن ليس مرضيًّا في دينِه ومذهبِه.[3]

◄ قال ابن الجوزي : ما رأيتُ أكثر أذًى للمؤمن مِن مخالطة مَن لا يَصلُح، فإن الطبع يسرق؛ فإن لم يتشبه بهم، ولم يَسرق منهم، فَتَر عن عمله.[4]

فالزم الصالحين المهتدين:

أنتَ في الناس تُقاسُ ... بالذي اخترتَ خليلا
فاصحب الأخيارَ تعلو ... وتنَل ذِكرًا جميلا

تاسعًا عليك بالشيخ المربي

التائب حديث عهد بتوبة، وللشهوات طغيانها، وللأهواء مغرياتها، فوجود المربي أمرٌ ضروري، ليُذكِّره إذا نسي، ويعظه إذا همَّ بسوء، ويعينه على طاعة ربه ومرضاته.

◄ قال الإمام أحمد : إنما يحيا الناس بالمشايخ، فإذا ذهب المشايخ فماذا بقي ؟

◄ وقال البخاري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إنما الناس بشيوخهم ، فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟.[5]

◄ قال محمد بن سيرين[6] وغيره من أهل العلم : إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ.[7]

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد(٨٤١٧ ، ٨٠٢٨) وغيرهم من طرق عن زهير بن محمد، قال: حدثني موسى بن وردان، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.
(٢) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)
(٣) العزلة للخطابي (ص: ٤٦)
(٤) صيد الخاطر (ص: ٤٢٥)
(٥) اللطائف من دقائق المعارف لأبي موسى المديني المتوفى سنة ٥٨١هـ (ص: ٤١٣)
(٦) أبو بكر بن أبي عمرة البصري، توفي سنة (١١٠ هـ)
(٧) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه

إنها بركة صحبة العلماء الربانيين

◄ قال يُوسُف بْن أَسْبَاطٍ[1] : كَانَ أَبِي قَدَرِيًّا، وَأَخْوَالِي رَوَافِضَ، فَأَنْقَذَنِي اللَّهُ بِسُفْيَانَ الثوري.[2]

◄ وهذا ابن القيم يحكي بعض ما استفاده من ملاحظة شيخ الإسلام ابن تيمية فقال :

وعَلِمَ اللهُ ما رأيتُ أحدًا أطيبَ عيشًا منه قطُّ، مع ما كان فيه مِن ضيق العيشِ والحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك مِن أطيب الناس عيشًا، وأشرَحِهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسَرِّهم نفسًا، تَلوحُ نضرةُ النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوف وساءتْ مِنَّا الظنونُ وضاقتْ بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمعُ كلامه فيذهب ذلك كلُّه وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة.[3]

◄ وقال الذهبي : إن الحافظ القاسم بن محمد البِرْزالي[4] : هو الذي حبَّب إليَّ طلبَ الحديث، فإنه رأى خطيِّ، فقال: خطُّك يُشبه خطَّ المُحدِّثين! فأثَّر قولُه فيَّ، وسمعتُ منه، وتخرَّجتُ به في أشياء.[5]

◄ وقال الحسن بن إسماعيل: سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد بن حنبل خمسةُ آلاف أو يزيدون، أقلُّ من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حُسنَ الأدبِ وحُسنَ السَّمْتِ.[6]

خطورة غياب القدوة والمربي

فلابد للسائر إلى الله أن يتخذ قدوة يقتدي ويتأسى به في الخير، وخير قدوة لنا رسول الله ﷺ، فهو الذي اختاره الله واصطفاه ليكون قدوة حسنة لمن أراد السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]

---

(١) يوسف بن أسباط بن واصل أَبُو محمد الشيباني الزاهد الواعظ توفي سنة ١٩٥هـ

(٢) حسن: أخرجه علي بن الجَعْد في مسنده(١٨٠٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٢) عن محمد بن هارون، نا سعيد بن شبيب عن يوسف به.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٨)

(٤) توفي سنة ٧٣٩هـ

(٥) ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام للذهبي (ص: ٤٠)

(٦) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٨٨)

وبعد موت النبي ﷺ فالمرجعية عندنا هي سنته ﷺ

ولكن لابد من مُربٍّ ومُوَجِّه حتى يوصل لك الصورة الصحيحة لسنة النبي ﷺ والصورة الحقيقة للإسلام.

◄ قال شيخ الإسلام: لا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن. كما تلقى الصحابةُ ذلك عن النبي ﷺ وتلقاه عنهم التابعون؛ وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر.[1]

عاشرًا تذكر الآخرة

أيها السائر

قصِّر الأمل. تذكر الموت. تذكر يوم القيامة. تذكر النار وعذابها. تذكر الجنة ونعيمها.

فإن قصر الأمل، وتذكر الآخرة من أعظم الموقظات للعبد، لا سيما وأنت ترى الموت يتخطف من حولك، فهب أن الميت أنت؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».[2]

قصِّر الآمالَ في الدنيا تَفُز ... فدليلُ العقل تقصيرُ الأمل

◄ قال ابن عقيل[3]: ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال، فإن كلَّ مَن عَدَّ ساعاتِه التي هو فيها كمرضِ الموتِ حَسُنتْ أعمالُه، فصار عمُرُه كلُّه صافيًا.[4]

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥١٢)
(٢) رواه البخاري (٦٤١٦)
(٣) أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي [المتوفى: ٥١٣ هـ]
(٤) الفنون لابن عقيل (٢/ ٥٤٦)

واعلم أيها السائر : أن صدق التأهب، والاستعداد للقاء الله هو مفتاح سائر أعمال القلوب والجوارح من يقظة، وتوبة، وإنابة، ومحبة وما إلى ذلك.

◄ قال إبراهيم التيمي : مثَّلْتُ نفسي في الجنة، آكلُ ثمارها، وأشربُ مِن أنهارها، وأُعانِقُ أبْكارَها، ثُمَّ مثَّلْتُ نفسي في النار، آكلُ مِن زقومها، وأَشربُ مِن صَديدِها، وأُعالجُ سلاسلَها وأغلالَها؛ فقلتُ لنفسِي: أيْ نفسي، أيُّ شيءٍ تُريدين؟، قالت: أُريدُ أن أُردَّ إلى الدنيا؛ فأعملَ صالحا!: قلتُ: فأنتِ في الأمنية فاعملي.[1]

حادي عشر أحسن توظيف هاتين النعمتين (الصحة والفراغ)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ ».[2]

معنى الحديث : أن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكْفيًّا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون.[3]

◄ يقول ابن الجوزي : قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة.

فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط.

ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، فالفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم.[4]

---

(١) صحيح : أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (١٠) من طريق سفيان بن عيينة عن إبراهيم التيمي به.
(٢) رواه البخاري (٦٤١٢)
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٤٦)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٣٠)
(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٣٠)

النعمة الأولى : الصحة

إن نعمة الصحة من أجَلِّ النعم

قيـل : شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية.

وقيل : لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يد العلة ولا طعم الرخاء من مسته يد البلاء.

وقيل : الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية لا تزال غنيًّا ما دمت سويًّا.[1]

ونعمة الصحة خير مطية للسائر إلى الله عز وجل، وهي تقتضي شيئين:

الأول : شكر هذه النعمة لحفظها؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]

الثاني : توظيف هذه النعمة في طاعة الله والتقرب إليه :

- فمن أنعم الله عليه بالصحة فليوظفها فيما يبقى لها أثره في الدنيا والآخرة

فيا صحيح اليد والقدم	لا تضيع صحتك في المعاصي فتندم
ويا قوي الجسد	لا تظلم الناس فالله أقوى من كل أحد
ويا مفتول العضلات	اعمل ما يبقى لك بعد الممات
ويا صاحب البدن السليم	اعمل لمشهد يوم عظيم

فإن كنت مريضًا أو أُصبت بعلة ... فلا تحزن فإن في العلل نِعَما

اعتـلّ الفضل بن سهل بخراسان ثم برأ فجلس للناس، فهنأوه بالعافية وتصرّفوا في فنون الكلام، فلما فرغوا، أقبل على الناس، فقال : إنّ في العلل نعما ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب والتعرّض للثواب، والإيقاظ من الغفلة والتذكير بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة والحضّ على الصدقة. وفي قضاء الله وقدره الخيار.[2]

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني (١/ ٥١٤)

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٥١٤).

النعمة الثانية : الوقت

وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمرُّ أسرع من مَرِّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبا من حياته.[١]

◄ قال ابن عقيل : إن أجلَّ تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت؛ فهو غنيمة تُنتهَز فيها الفرص؛ فالتكاليف كثيرة، والأوقات خاطفة.[٢]

◄ وقال ابن القيم : السَّنَةُ شجرة، والشهور فروعُها، والأيام أغصانُها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثِمارها، فمن كانت أنفاسه في طاعة، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية، فثمرته حنظل.[٣]

ومن جَهْلنا بقيمة الوقت.. نفرح بمغيب شمس كل يوم ونحن لا ندرك أن هذا نهاية يومٍ من أعمارنا لن يعود أبدًا .. صحائف طويت وأعمالٌ أحصيت وأنفاسٌ توقفت.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدني من الأجل[٤]

◄ وفي وصية الإمام الموفق ابن قُدامة : فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقُص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خُلف منه.[٥]

أيها السائر إلى الله :

أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة.[٦]

---

(١) الداء والدواء (ص: ١٥٦)
(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٢)
(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ١٦٤)
(٤) صفة الصفوة (٢/ ١٧١)
(٥) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٤٤٨- ٤٤٩)
(٦) المدهش (ص: ٤٨١)

الوقت المفقود لا يُشترى بالنقود، وأمس لا يُرَدّ وغدًا ليس في اليد، كثير من الناس يظنون أنهم يقتلون الوقت، ولكن الوقت هو الذي يقتلهم.

بادر قبل أن تغادر

قال ابن رجب : الواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ويحال بينه وبينها، إما بمرض أو موت.

اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةْ
كَمْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَةْ [1]

استثمر كل لحظة تمر عليك

قال ابن الجوزي : ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يُضيِّع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل.[2]

في الدقيقة الواحدة : تسبح مائة تسبيحة، وتقرأ صفحة من المصحف، وتطالع ثلاث صفحات من كتاب، وتتلو سورة الإخلاص ثلاثًا.

احذر أن تعُقَّ يومك

من أمضى يومه في غير حق قضَّاه، أو فرض أدَّاه، أو مَجْدٍ أثَّله أو حمد حصَّله، أو خير أسَّسه أو عِلْم اقتبسه، فقد عقَّ يومه وظلم نفسه.[3]

اشغل نفسك دائمًا بما ينفع

وقت الفراغ بالنسبة لك سلاح ذو حدَّين؛ فإما أن تحسن استغلاله وتجني من خلاله ما يجلب لك السعادة في دنياك وآخرتك، فيكون الفراغ بذلك من أعظم النعم بل وسبب تحصيل كل النعم، وإما أن يكون سببا لضياع دينك ودنياك، لما اكتسبته في وقت فراغك من المعاصي وقدمت يداك؛ وفي هذا يقول أبو العتاهية:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ[4]

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٠)
(٢) صيد الخاطر (ص: ٣٣)
(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٥٥)
(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٢٩)

ولذلك فإن العاقل هو من يجعل أعمالَه أكثرَ من أوقاته، حتى لا يجعل للفراغ على نفسه سبيلا، قال تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧، ٨]

أي : إذا فرغتَ من الفرائض فانصب إلى النوافل، وإذا فرغت من الصلاة فانصب إلى الدعاء، وإذا فرغت من جهاد عدوك، فانصب لعبادة ربك، وإذا فرغت من دنياك فانصب إلى العبادة.[1]

واعلم أنك ستُسأل عن أوقاتك بين يدي ربك

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ».[2]

ليسَ في كلِّ ساعةٍ وأوَانِ ... تتـأتَّى صنائـعُ الإحسانِ
فإذا أمْكنَتْ فبـادرْ إليها ... حَذَراً مِنْ تَعَذُّرِ الإمكانِ[3]

ثاني عشر اغتنم مواسم الخيرات

◄ قال الحافظ ابن رجب : السعيدُ من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرّب فيها إلى مولاه بما فيها مـن وظائف الطاعات، فعسى أن تُصيبَه نفحةٌ مِن تلك النفحات، فيَسعد بها سعادةً يأمن بعدها مِن النار وما فيها من اللّفحات.[4]

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٠٩) بتصرف
(٢) حسن بشواهده : الدارمي (٥٣٧) وعنه الترمذي (٢٤١٧)، وأخرجه أبويعلى(٧٤٣٤) وابن أبي الدنيا في إصلاح المال(٣٠) وأبو نعيم في الحلية(١٠/ ٢٣٢) من طرق عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة رضي الله عنه به . وله شاهد حسن من حديث معاذ بن جبل مرفوعا وموقوفا . وجاء أيضا من حديث أبي سعيد الخدري من وجه ضعيف . وبالجملة فهو يحسن بشواهده.
(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لابن علان (٧/ ١٤٤)
(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٣٢)

الأيام تناديا : ابن آدم اغتنمني لعله لا يومَ لك بعدي.

اغتنم : فغيرك يتمنى لحظة واحدة ليزداد بها درجة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرٍ دُفِنَ حَدِيثًا فَقَالَ: « رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفِلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ ».[1]

ثالث عشر اقرأ في سير السلف والمهتدين

لقد قص الله في كتابه كثيرًا من قصص الأنبياء والصالحين، وأمر بأخذ العظة والعبرة من أحوالهم، وما جرى لهم فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

- وقال : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: ٤٣].
- وقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
- وقال : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقراءة سير الصالحين تبعث الهمة، وتوقظ العزيمة، وتدعو العبد أن يقتدي بهم في المتاب.

كَرِّرْ عليَّ حديثَهم يا حادِي ... فحديثُهم يُجلي الفؤادَ الصَّادِي [2]

والأمة مليئة بقصص العلماء والعُبَّاد وأولي الفكر والنهى، فاقرأ في سيرهم، وطالع أحوالهم، ولا شك أنك ستشعر بروح تدب في جسدك، وحركة تدفعك للإتيان بعظائم الأمور، وجلائل الأعمال.

وكثيرًا ما دفع الناس إلى العمل الجليل حكاية قرؤوها عن رجل عظيم، أو حادثة أيقظت حسهم، وسارت بهم نحو معالي الأمور، ولا شك أن أحسن القصص ما قصه الرب جل وعلا في كتابه، ثم ما أخبر به رسول الله ﷺ فاقرأ في قصص القرآن، وما كتب حولها، والقصص في السنة النبوية، ثم في كتب التراجم المعتمدة.

---

(١) صحيح: رواه ابن صاعد في زيادته على ابن المبارك في الزهد (٣١) والطبراني في الأوسط (٩٢٠) والأصبهاني في تاريخ أصبهان (١٩٦/٢) من طرق عن حفص بن غياث، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة ﷺ به مرفوعًا، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه(٧٦٣٣) موقوفًا ، وهذا لا يضر فقد صح مرفوعًا وموقوفًا.

(٢) بستان العارفين للنووي (ص: ٨٠)

◀ قال أبو محمد ابن حزم : مَن أراد خيرَ الآخرةِ، وحِكمةَ الدنيا، وعَدْلَ السِّيرةِ، والاحتواءَ على محاسنِ الأخلاق كلِّها واستحقاقَ الفضائلِ بأَسْرِها؛ فَليَقتَدِ بِمُحمدٍ رسول الله ﷺ وليَستعمل أخلاقه، وسِيَرَهُ ما أمكَنَهُ، أعاننا الله على الاتِّسَاءِ به، بمَنِّه، آمين.[1]

رابع عشر ادخل جنة العبادة

العبادات هي وقود السير على طريق الهداية، فعلى قدر ما تبذل من العبادات بإحسان وإتقان، على قدر ما تُعطى من التوفيق والتيسير والتسديد على الطريق ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ [الليل: ٥ - ٧]

أولا : الصلاة

الصلاة هي أعظم العبادات التي تتقرب بها إلى ربك، وهي خير مُعين لك على سيرك إلى الله، لأنها مادة حياة قلبك الذي هو المحرك لك في سيرك، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣ ﴾ [البقرة: ١٥٣]

حافظ على الصلاة في المساجد

صلِّ الصلاة على وقتها فإن ذلك من أحب الأعمال إلى الله، عن عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ: « الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا ».[2]

إشراقة

ادخل جنة الصلاة

قال ابن الجوزي: نَحن فِي رَوْضَة طعامنا فِيهَا الْخُشُوع وشرابنا فِيهَا الدُّمُوع.[4]

وفي المسجد حيث يُنادى بها، فإن النبي ﷺ لم يرخص للأعمى أن يصلي في بيته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ : هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ : فَأَجِبْ.[3]

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٢٤)
(٢) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) واللفظ له
(٣) مسلم (٦٥٣)
(٤) المدهش (ص: ٢٥١)

حافظ على الصلوات الخمس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ ». قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ : « فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا ».[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ ».[٢]

لا شك أن صلاتك قد يلحقها النقص، فأتممها بالنوافل

وأبشر ببيت في الجنة، فعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ».[٣]

وهن كالآتي: ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

احرص على سنة الضحى

فإنها وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: « صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ ».[٤]

أفضل الصلاة بعد الفريضة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ».[٥]

---

(١) رواه مسلم (٦٦٧)
(٢) رواه مسلم (٢٣٣)
(٣) رواه مسلم (٧٢٨)
(٤) رواه البخاري (١١٧٨) ومسلم (٧٢١)
(٥) رواه مسلم (١١٦٣)

اعلم أن شرفك قيام الليل، وتذكر قول ربك جل وعلا : { إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ } [الذاريات: ١٥ - ١٩]

واعلم أن صلاة الليل مشهودة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ ».[1]

في الليل ساعة إجابة فانتبه، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ ».[2]

لا تنسَ أن تختم ليلك بوتر السحر، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ صَلاَةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى ».[3]

وأفضل وقت الوتر، عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ : مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ.[4]

ومَن خاف أن لا يقوم آخر الليل فليوتر أوله، وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ ».[5]

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨)
(٢) رواه مسلم (٧٥٧)
(٣) رواه البخاري (٩٩٠) ومسلم (٧٤٩)
(٤) رواه البخاري (٩٩٦) ومسلم (٧٤٥)
(٥) رواه مسلم (٧٥٥)

ثانيا : كن من عُمَّار المساجد

كيف لا يهدي اللهُ قلبا تعلَّق بالمساجد ولربه دائما ساجد ؟ « وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ».[1]

المساجد هي بيوت كرمها الله سبحانه، بل زاد في تكريمها بأن نسبها إلى نفسه سبحانه فقال : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨]

ورفع الله عز وجل شأن المساجد وأعظم قدرها، فقال عز من قائل : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور: ٣٦]

وهي أحب الأماكن إلى الله تعالى وإلى رسوله وإلى المؤمنين الصالحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال : « أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا ».[2]

وفيها تتنزل الرحمات وتحلُّ البركات وتحفُّك الملائكة ويذكرك رب الأرض والسماوات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ».[3]

ويباهي الله بأهلها ملائكته، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ : آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: « مَا أَجْلَسَكُمْ؟ » قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : « آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ » قَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: « أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ ».[4]

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم (٦٧١)
(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩)
(٤) رواه مسلم (٢٧٠١)

اجعل لنفسك وقتًا ثابتًا في المسجد:

- تنتظر صلاتك.
- تقرأ وِرْدَك.
- تحضر درسًا.
- تذكر ربك.

ثالثًا: أدمن الصيام

أيها السائر: الصيام تزكية لنفسك وطهارة لقلبك، الصيام جُنَّتُكَ من الوقوع في المعاصي، الصيام طريقك إلى التقوى .

أكثر الصيام في شهر شعبان

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ : لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ.[1] وفي رواية في مسلم: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلاً.

صيام رمضان فريضة من الرحمن

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».[2]

صم ستاً من شوال

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ ».[3]

---

(١) رواه مسلم (١١٥٦)
(٢) رواه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠)
(٣) رواه مسلم (١١٦٤)

احرص على صيام التسع الأول من ذي الحجة

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ » يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ ».[١]

احرص على صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ».[٢]

احرص على الإكثار من الصيام في شهر محرم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ ».[٣]

احرص على صيام الاثنين والخميس

لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ».[٤]

وفي رواية أيضا عند مسلم : « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ».

---

(١) رواه البخاري (٩٦٩) وأبو داود (٢٤٣٨) واللفظ له
(٢) رواه مسلم (١١٦٢)
(٣) رواه مسلم (١١٦٣)
(٤) رواه مسلم (٢٥٦٥)

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ ؟ فَقَالَ: « فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ ».[1]

وصم ثلاثة أيام من كل شهر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ : « صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ ».[2]

رابعاً : داوم على الصدقة

أيها السائر إلى اللّه، اعلم أن ربك اشترى منك نفسك ومالك بجنة عرضها السماوات والأرض، فهل أنتَ مستعدٌ للبذل والتضحية ؟ لو قلتَ نعم، فما هو دليل صِدْقك ؟

إنها الصدقة :

الصدقة برهان على صحة إيمانك، قال رسول الله ﷺ: « الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ».[3]

◄ قال ابن رجب : الصدقة برهان على صحة الإيمان، وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه.[4]

الصدقة طريقك إلى الفلاح، والتخلص من بخل النفس، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن: ١٦]

الصدقة طهارة لقلبك وتزكية لنفسك، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٣]

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢)
(٢) رواه البخاري (١٩٨١) ومسلم (٧٢١)
(٣) رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.
(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٣)

◄ قال السعدي : أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، {وَتُزَكِّيهِمْ} أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم.[1]

الصدقة زادك في سيرك إلى اللّه، قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ [البقرة: ٢٦١]

الصدقة سترلك من النار، عن عَدِيّ بْن حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:« مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ ».[2]

خامساً : تابع بين الحج والعمرة إن استطعت

اعلم أن قلبك – أيها السائر – يهوي إلى بيت الله الحرام ويحن إلى مهبط الوحي، ولِمَ لا وهو البلد الذي جعلَهُ اللهُ مَحَلا تَشتاقُ إلَيْهِ الْأرواحُ وتَحِنُّ إلَيْهِ، ولا تَقْضِي منْهُ وطَرًا، ولوْ ترددتْ إليْهِ كلَّ عامٍ.[3]

إنها دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام حين دعا لبلده الحرام أن تهوي إليه الأفئدة المؤمنة وتحن إليه القلوب السليمة قال تعالى عن إبراهيم : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

أيها السائر، ما أحوجك إلى الحج ليهدم ماضيك المظلم، ويملأ قلبك إيمانا

الحج يهدم ما قبله من الذنوب والخطايا

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٥٠)
(٢) رواه البخاري (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦)
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤١٣)

قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه : « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ ».[١]

الحج أفضل الأعمال والقرُبات عند اللَّه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: « الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ: « حَجٌّ مَبْرُورٌ ».[٢]

الحجُّ يَعدل الجهاد في سبيل الله، وينوب عنه لمَن لا يَقدر عليه ومَن لا يُكلَّف به

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ ؟ فَقَالَ : « لَكُنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ ».، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.[٣]

تابع بين الحج والعمرة؛ فإنهما يزيدان في العمر والرزق، وينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ ».[٤]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ».[٥]

---

(١) رواه مسلم (١٢١)
(٢) رواه البخاري (٢٦) ومسلم (٨٣)
(٣) رواه البخاري (١٨٦١)
(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣٦٦٩) والترمذي (٨١٠) والنسائي (٢٦٣٠) وغيرهم عن أبي خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن ابن مسعود رضي الله عنه به. وجاء أيضا من حديث ابن عباس عند النسائي (٢٦٣٠) بسند حسن.
(٥) رواه البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠)

الحج طريقك إلى الدرجات العلى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ ».[1]

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ ... سِرْتُمْ جُسومًا وَسِرنَا نَحْنُ أَرْواحا
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ نُكابِرُهُ ... وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذرٍ فَقَدْ رَاحَا[2]

سادساً : صحح علاقتك بالقرآن (تلاوةً وتدبراً وحفظاً وعملاً)

يا طالب الهداية : اقترب من القرآن

كلما اقتربْتَ من القرآن كلما اقتَربْتَ منك السعادة .. البركة .. الأجر العظيم.

القرآن لك أيها السائر إلى الله بمثابة المصدر والمولِّد للطاقة والقوة، والمحرِّك لك نحو مجدك وعزك وسعادتك في الدنيا والآخرة.

القرآن هدايتك من الضلال ونورك في الظلمات

عن ابن عباس ﷺ قال : تضمَّن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣].[3]

وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء: ٩]

◄ قال السعدي : يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه ﴿يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره.[4]

---

(١) رواه البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩)
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٧)
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٩١)
(٤) تفسير السعدي (ص: ٤٥٤)

هـــذه الآيـــة الكريمـــة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة.[1]

إنه القرآن المعجزة الخالدة الذي يصنع لك المعجزات في حياتك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ ».[2]

◄ يعلق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث فيقول: معناه : أن معجزة كل نبيّ انقرضتْ بموته، وهذا القرآن حجةٌ باقيةٌ على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الرَّدّ، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل؛ مَن تركه مِن جبار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

فإنه ليس ثَمَّ حُجةٌ ولا معجزةٌ أبلغُ ولا أنجعُ في النفوس والعقول من هذا القرآن، الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله.[3]

القرآن هو روحك فبه حياة قلبك

فلا حياة لك أيها السائر بدون القرآن الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]

◄ قال السعدي : هو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير.[4]

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي(٣/ ١٧)
(٢) رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢)
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦١)
(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٦٢)

وسرُّ ذلك أن المعجزة القرآنية تقوم بتوصيل تيار الحياة إلى القلب فيفيق من غفلته، ويحيا بعد موته، وينطلق إلى ربه، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]

◄ قال ابن تيمية: فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نورا يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.[١]

يا من يشتكي من ضيق الصدر، ومن الاضطرابات والقلق والأرق، اعلم أنه لا راحة لك إلا في القرآن لأن سعادة القلوب في تلاوة كتاب علام الغيوب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ».[٢]

كن من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: « هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ ».[٣]

كن من أهل القرآن لترفعك درجاتك في الجنة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا ».[٤]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٤)

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩)

(٣) حسن: أخرجه الطيالسي (٢٢٣٨) وأخرجه احمد (١٢٢٩٢، ١٣٥٤٢) وابن ماجه (٢١٥) والنسائي في الكبرى(٧٩٧٧) وغيرهم عن عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة العقيلي، قال: حدثني أبي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه به.

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي(٢٩١٤) والنسائي في الكبرى(٨٠٠٢) وغيرهم من طرق عن سفيان، حدثني عاصم بن بهدلة، عن زر، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما به.

يا طالب الهداية ما واجبك مع القرآن ؟

الواجب الأول : واجب القراءة

فكما أمرك ربك بعبادته وتوحيده أمرك أيضا بتلاوة القرآن، ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]

عن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » .[1]

وقالَ عماد الدين المقدسي لأحد تلاميذه : أَكْثِر من قراءة الْقُرْآن، ولا تتركه فَإِنَّهُ يتيسر لَك الذِي تطلبه علَى قدْرِ مَا تقرأ، قالَ: فرأيت ذلكَ وجربتُه كثيرا، فكنت إِذَا قرأْتُ كثيرا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لَمْ أقرأ لَمْ يتيسر لي.[2]

إشراقة

سماع القرآن ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماءُ الزرعَ

وسماع الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع .[3]

الواجب الثاني : الاستماع والإنصات

فالواجب عليك يا طالب الهداية أن يكون استماعك للقرآن وإنصاتك له مقدمًا على استماعك لأيِّ كلام آخر دونه؛ فعلى قدر استماع الآذان وإنصات العقول والقلوب الواعية للقرآن يكون استحقاق الرحمة للمستمع المنصت قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] **فالحرص على الاستماع** والإنصات لكلام الله تعالى بصدق وإخلاص يثمر في قلب المستمع محبة القرآن، وهذه المحبة هي مفتاح الإقبال على القرآن بالقراءة والتدبر والفهم والعمل، وهذه الأمور هي طريق الاستبصار ببصائر القرآن والاهتداء بهدايته.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤)

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/ ٢٠٥)

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٤٧٤)

الواجب الثالث : الترتيل

فالله تعالى أمر نبيه ﷺ بترتيل القرآن الكريم، وهو أمر للأمة من بعده؛ قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤] والمراد هنا بالترتيل: قراءة القرآن على تؤدة وتمهل وتبين حروف.

◄ يقول ابن كثير في هذا المعنى: أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره.[١]

الواجب الرابع : التدبر

يا طالب الهداية عليك بالتدبر الذي هو تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والاعتبار والاستبصار.

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]

فبين الله عز وجل أن علة نزول القرآن التدبر، وهي دعوة مباشرة صريحة لتدبر القرآن .

◄ يقول الزركشي[٢] : القرآن كله لم ينزِّلْه منزلُه تعالى إلا ليُفْقَه ويُعْلم ويُفْهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون ليدَّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب.[٣]

وذم الله عز وجل من ترك التدبر فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]

◄ قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَنَاهِيًا لَهُمْ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَعَنْ تَفَهُّمِ مَعَانِيهِ الْمُحْكَمَةِ وَأَلْفَاظِهِ الْبَلِيغَةِ.[٤]

◄ قال ابن القيم: ما أشدها من حسرة وأعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه.[٥]

فتدبَّر القرآنَ إنْ رُمتَ الهدى ... فالعلمُ تحتَ تدبُرِ القرآنِ

◄ قال ابن تيمية: مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.[٦]

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٠)
(٢) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)
(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٥)
(٤) تفسير ابن كثير(٢/ ٣٦٤)
(٥) بدائع الفوائد (١/ ١٩٤)
(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٧)

الواجب الخامس: التعلم والتعليم

فأول ما نزل من القرآن الأمر بالتعلم ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق: ١ - ٣]

عن عُثْمَانَ بن عفان رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ».[١]

◄ قال أبو عبد الرحمن السلمي راوي هذا الحديث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.

أي هذا الفضل العظيم الوارد في الحديث هو الذي جعلني أتفرغ لإقراء الناس القرآن.

◄ وقد أقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى ولي الحجَّاج على العراق؛ قال الحافظ ابن حجر: بين أول خلافة عثمان وآخر ولاية الحجاج اثنتان وسبعون سنة إلا ثلاثة أشهر وبين آخر خلافة عثمان وأول ولاية الحجاج العراق ثمان وثلاثون سنة، ولم أقف على تعيين ابتداء إقراء أبي عبد الرحمن وآخره فالله أعلم بمقدار ذلك، ويعرف من الذي ذكرته أقصى المدة وأدناها.[٢]

الواجب السادس : الدعوة إليه والدعوة به

أيها السائر، اجعل الدعوة إلى القرآن من أولوياتك، فهو كلام الله الذي تقشعر منه الجلود، وتتأثر به جميع المخلوقات، والأصل في هذا الواجب قوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٢]

أي : جاهدهم بالقرآن واتلُ عليهم ما فيه من القوارع والزواجر، والأوامر والنواهي.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ».[٣]

◄ قال الحافظ ابن حجر: قوله : « ولو آية » أي واحدة ليُسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلَّ ليحصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ.[٤]

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧)
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧٦)
(٣) رواه البخاري (٣٤٦١)
(٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٨)

سابعًا : أدمن الذكر

أيها السائر؛ اعلم أن ذكر الله هو قُوتُك ووقودك في طريقك إلى الله، فالذكر يورث حياة القلب.

◀ قال ابن القيم : سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول: الذِّكْرُ للقلبِ مثلُ الماءِ للسَّمكِ، فكيف يكونُ حالُ السَّمكِ إذا فارَقَ الماءَ ؟.[١]

الذكر يوقظ القلب من غفلته، قال ابن القيم : الذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وذلك أن العبد إذا لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر، لأن الغفلة نوم القلب أو موته.[٢]

سبْقُكَ إلى الله على قدْرِ ذكرك له؛ قال رسول الله ﷺ : « سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ » قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: « الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ ».[٣]

الذكر أعظم لذات الدنيا، قال شيخ الإسلام : مساكينُ أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما أطيبُ ما فيها ؟ قال: ذكر الله ومحبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه.[٤]

◀ وقال ابن القيم : فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين.[٥]

الذكر هو الباب الأعظم بينك وبين الله، قال ابن القيم : والذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُغلقه العبد بغفلته.[٦]

الذكر هو من أعظم وسائل الثبات والتماسك في الأزمات والنكبات. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأنفال: ٤٥] .

(١) الوابل الصيب (ص: ٤٢)
(٢) الوابل الصيب (ص: ٦٥)
(٣) رواه مسلم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢)
(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٩)
(٦) مدارج السالكين (٢/ ٣٩٦)

كيف تستمتع بالأذكار ؟

أ استحضر وتذكّر فضائل الأذكار

فمَن لم يعرف ثواب الأعمال ثَقُلت عليه في جميع الأحوال.[١]

وفضائل الذكر لا تخفى على مسلم، وقد ذكر منها ابن القيم أكثر من سبعين فائدة في كتابه الوابل الصيب، **فدونك هذه الفوائد فاغتنمها.**

ب اقرأ سير الذاكرين

ففي سيرهم إيقاظ للهمم، وتحريكٌ للقلوب، قال سعيدُ بن عبد العزيز قلت لعُمير بن هانئ : أرَى لسانَكَ لا يَفْتُرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ فكمْ تُسبحُ كُلَّ يَوْمٍ؟ قالَ: مائة ألف إلا أن تُخطئ الأصَابِعُ.[٢]

◄ قال ابن القيم: حضرتُ شيخ الاسلام ابن تيمية مرةً صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي.

وقال لي مرة : لا أترك الذكرَ إلا بنيَّة إجمام نفسي وإراحتها لأستعدَّ بتلك الراحة لذكر آخر.[٣]

جـ احْضِر قلبَك ... وألقِ سمعك ... واسكن بجوارحك

◄ قال ابن القيم : وأفضل الذكر وأنفعُه ما واطأ فيه القلبُ اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.[٤]

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ١٨)
(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٨٣)
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢)
(٤) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٢)

فذكر ابن القيم للانتفاع بالذكر أربعة أمور في غاية الأهمية وهي:

١ مواطأة القلب للسان حال الذكر.

٢ أن يكون ذكرًا مشروعًا.

٣ أن يعلم الذاكر معنى الذكر.

٤ أن يعلم مقاصد هذا الذكر خاصة.[١]

د استحضر عظمة مَن تذكُرُه

على قدر إجلالك لله وتعظيمك له تكون ثمرة الذكر في القلب وفي الواقع (العاجل والآجل).

هـ تلبَّس بلباس العبودية واستحضر أنك عبد

عبدٌ يَذكر سيدَه فكيف يكون حاله ؟

- غاية الخوف والانكسار.
- غاية الطمع والافتقار.
- غاية الرجاء والحب.

و عاود بالتفكر على التذكر وبالتذكر على التفكر

◄ قال ابن القيم: فالعارفُ لا يزالُ يعودُ بتفَكُّرِهِ علَى تذَكُّرِه، وبتَذَكُّره علَى تفَكُّرِه، حتَّى يُفْتَحَ قُفْلُ قلْبِه بإذنِ الفتاح العليم، قال الحسنُ البصْري: ما زال أهلُ العلْمِ يَعُودُونَ بِالتَّذَكُّرِ علَى التَّفكُّر، وبالتَّفَكُّرِ علَى التَّذَكُّرِ، وَيُناطِقُون القلوبَ حتَّى نَطَقَتْ.[٢]

(١) الفوائد (١/ ١٩٢)
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٤٠)

ز إياك أن تيأس من تأخُّرِ الفتح

فمن أدْمن قرعَ الباب يوشك أن يؤذن له، وملازمة الإلحاح والوقوف بالباب مع الإطراق بانكسار وافتقار علامة التوفيق والقبول.

◄ قال ابن القيم : إذا رأيتَ البابَ مَسدودا فِي وجهِكَ فاقْنَعْ بالوقوفِ خارجَ الدارِ مُستقبِلا البابَ سائلا مُستعْطيا فعسى، ولا تُوَلِّ ظهرك وتقول: ما حيلتي وقد سُدَّ البابُ دُوني.[1]

ثامناً : أدمن الدعاء

يا طالب الهداية : اعلم أن بينك وبين الهداية والسعادة؛ دعوة صادقة من قلب صادق.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]

فالله قريب مِن داعيه بالإجابة ... ومِن عابديه بالرحمة والإثابة

وقد أمرنا الله تعالى بالدعاء ووعدنا بالإجابة فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]

◄ قال ابن القيم : الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب.[2]

اسأل ربك الهداية على الدوام: « اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى ».[3]

لماذا أدعو ولا يُستجاب لي ؟ لا تَستبطئ الإجابة وقد سدَدتَ طريقها بالذنوب.[4]

إن التوفيق إلى الهداية والثبات عليها لا يتحقق إلا بمعونة الله؛ لذلك أرشدنا إلى طلب الهداية منه فقال: « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ».[5]

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٦)
(٢) الداء والدواء (ص: ٩)
(٣) رواه مسلم (٢٧٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٤) حلية الأولياء (١٠/ ٥٣)
(٥) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

فأكثر من الدعاء بالثبات والهداية، وأن يصرف الله عنك السوء والفحشاء، وأن يثبتك على قوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

عنْ سَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا ».[1]

◄ قال ابن حجر : كلُّ داعٍ يُستجاب له، ولكن تتنوع الإجابةُ؛ فتارة تقع بعين ما دعا به وتارة بعِوَضه.[2]

إن قلبك بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، فاسأله أن يثبت قلبك، فعن عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ ».[3]

تعلَّم كيف تدعو

◄ قال ابن القيم : إذا جمع العبد مع الدعاء :

حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة، وهي :

- الثلث الأخير من الليل.
- وعند الأذان.
- وبين الأذان والإقامة.
- وأدبار الصلوات المكتوبات .
- وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر.
- وآخر ساعة بعد العصر.

وصادف خشوعا في القلب، وانكسارا بين يدي الرب، وذلا له، وتضرعا، ورقة

واستقبل الداعي القبلة — وكان على طهارة — ورفع يديه إلى الله

(١) حسن: أخرجه أبو داود (١٤٨٨) وان حبان في صحيحه(٨٧٦) من طريق جعفر بن ميمون، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه به.
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٩٥)
(٣) رواه مسلم (٢٦٥٤)

- وبدأ بحمد الله والثناء عليه
- ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ
- ثم قدَّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار
- ثم دخل على الله، وألحَّ عليه في المسألة، وتملَّقَه ودعاه رغبةً ورهبةً
- وتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده
- وقدَّم بين يدي دعائه صدقة

فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم.[1]

◄ قال ابن الجوزي : إِذا جَلَست فِي ظلام اللَّيْل بَين يَدي سيدك فَاسْتعْمل أَخْلاَق الْأَطْفَال فَإِن الطِّفْل إِذا طلب من أَبِيه شَيْئا فَلم يُعْطه بكى عَلَيْهِ حتى يأخذه.[2]

تاسعاً : أدمن الاستغفار

اعلم أيها السائر إلى الله؛ أن أعظم ما يقطع عليك الطريق إلى الله والجنة هي ذنوبك ؟ فبادر بالتخلص منها، وأعظم ما يخلصك منها مداومة الاستغفار.

إياك أن تظن أنك لا تحتاج إلى الاستغفار في كل أوقاتك وأحوالك .

بالاستغفار تفتح لك أبواب الخيرات : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠- ١٢]

مع الاستغفار تشعر بالمتعة الحقيقية، ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [هود: ٣]

(١) الداء والدواء (ص: ١٢)
(٢) المدهش (ص: ٢١٩)

قوَّتُك الحقيقة بقدْر استغفارك ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢]

نجاتك في استغفارك ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]

نظِّف قلبَك من آثار الذنوب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ، ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] ».[1]

استغفارك نورٌ وزَينٌ لصحيفتك، عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رضي الله عنه أن النَّبِيّ ﷺ قال : « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا ».[2]

ما أجمل أن تُصبح العبدُ أيها وتُمسي وأنت قائمٌ على قدم الذل والخضوع والانكسار لله الواحد القهار

◄ قال ابن تيمية : والعبدُ كلما كان أذَلَّ لله وأعظمَ افتقارًا إليه وخضُوعًا له: كان أقربَ إليه، وأعزَّ لهُ، وأعظمَ لِقَدْرِهِ.[3]

هذا رسول الله الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يكثر من استغفار ربه : عنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: « اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ».[4]

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢ / ٢٩٧) و الترمذي (٣٣٣٤) وابن ماجه (٤٢٤٤) والنسائي في الكبرى(١٠١٧٩) وابن حبان(٩٣٠) من طريق ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) والبزار في مسنده(٣٥٠٨) عن عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عرق، سمعت عبد الله بن بسر رضي الله عنه به.

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٣٩)

(٤) رواه مسلم (٧٧١)

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: « قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ».[1]

عليك بسيد الاستغفار، عن شَدَّاد بْن أَوْس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: « سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ». قَالَ: « مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ».[2]

الاستغفار النافع

هو الذي ثبت معناه في القلب مقارنا للسان لتنحلّ به عقد الإصرار ويحصل معه الندم.[3]

◄ قال القرطبي : الاسْتِغْفارُ المطْلوبُ هو الذي يَحُلُّ عُقَدَ الإصْرارِ ويَثْبُتُ معناه فِي الجَنان، لا التلَفُّظُ باللسانِ.

فأما مَنْ قال بلسانِه: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وقلبُهُ مُصِرٌّ علَى مَعْصيَتِه فاسْتِغْفارُهُ ذلِكَ يَحْتاجُ إِلَى اسْتغْفارٍ، وصغيرَتُه لاحِقَةٌ بالكبائِرِ.[4]

(١) رواه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥)
(٢) رواه البخاري (٦٣٠٦)
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٧١)
(٤) تفسير القرطبي (٤/ ٢١٠)

قُطَّاع الطريق

أيها السائر على طريق الهداية : ها أنت قد شَمَّرت عن ساعد الجدِّ، وحشَدْت الهِمَّة، وأوقدت نارَ العزيمة، وبدأتَ السَّيْر إلى الله تعالى؛ ومع بداية السير تبدأ المعركة الحقيقيَّة مع قطَّاع هذا الطريق، الذين لا يريدون لك السير، فضلا عن أن تصل إلى مرادك وهدفك.

فتعالَ لنتعرف على بعض قُطَّاع الطريق ومكامِنهم وخدعهم؛ فبذلك تتعلَّم صفة الشرِّ؛ لتتجنَّبه، والمقصود بيان نماذج من هؤلاء القُطَّاع؛ لتستدلَّ بهم على غيرهم.

القاطع الأول : النفس الأمَّارة بالسوء

أولاً نفسك هي أول مَن يقطع عليك الطريق إلى الله

◄ قال ابن القيم : اتَّفَقَ السالكون إلى الله على اختلاف طُرُقهم، وتَباين سلوكهم على أن النفس قاطعةٌ بين القلب وبين الوصول إلى الرَّبِ، وأنه لا يُدخَل عليه سبحانه ولا يُوصَل إليه إلا بعد الظَّفَر بها.[1]

نفسك أولاً فابدأ بها، قال ابن القيم : الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك، والنفسُ عدوٌّ بين جنْبيكَ ومِن سُنَّة الجهاد ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾.[2]

ثالثًا هي التي تأمر بالطغيان وإيثار الحياة الدنيا على طاعة الرحمن

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٥)

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٥)

◄ قال ابن القيم : فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والربُّ يدعو عبدَه إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى. والقلبُ بين الداعيين، يَميل إلى هذا الداعي مرةً وإلى هذا مرةً، وهذا موضع المحنة والابتلاء.[1]

رابعًا لا تكف عن الأمر بالسوء

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]

◄ قال السعدي : أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مرْكَبُ الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان.[2]

خامسًا إن أطاعت ربما تطغى بطاعتها وتمُنّ على الله بها

◄ قال ابن القيم : قد تستولي النفس على العمل، فتأخذه وتصيِّره جندًا لها، فتصول به وتعلو وتطغى، فترى الرجل أزهدَ ما يكون، وأعبدَ ما يكون، وأشدَ اجتهادًا، وهو أبعد ما يكون عن الله، وأصحاب الكبائر أقرب قلوبا إلى الله منه، وأدنى منه إلى الإخلاص والخلاص.

وانظر إلى الخوارج إذا كان أحدهم سجَّاجدًا عبَّادًا زاهدًا بين عينيه أثر السجود، كيف أورثه طغيان عمله أن أنكر على النبي ﷺ، وأورث أصحابه احتقارَ المسلمين، حتى سلُّوا عليهم سيوفهم، واستباحوا دماءهم.[3]

وانظر إلى الشرِّيب السِّكير الذي كان كثيرا ما يُؤتى به إلى النبي ﷺ، فيحدّه على الشراب، كيف قامت به قوة إيمانه ويقينه، ومحبته لله ورسوله، وتواضعه وانكساره لله حتى نهى رسولُ الله ﷺ عن لعنه.[4]

فظهر بهذا : أن طغيان المعاصي أسلم عاقبة من طغيان الطاعات.[5]

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٧٥)
(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٠٠)
(٣) كأمثال ذي الخويصرة التميمي، وعمرو بن عبيد
(٤) هو عبد الله الذي كان يلقب حمارًا، البخاري (٦٧٨٠)
(٥) مدارج السالكين (٣/ ٢١٣) بتصرف

سادسًا النَّفْسُ جبَلٌ عظيم شاقّ في طريق السير إلى الله عز وجل

وكلُّ سائرٍ لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلابد أن ينتهي إليه، ولكن منهم مَن هو شاقّ عليه ومنهم مَن هو سهلٌ عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.[1]

واحذرْ كمائنَ نفسِك اللاتي مَتى ... خَرجتْ عليك كُسرتَ كسرَ مُهانِ[2]

سابعًا النفس كالطفل تريد أن ترتع في مراتع الشهوات بلا رادع

والنفسُ كالطفلِ إن تهمله شبَّ على ... حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إنَّ النفسَ إذا أُطمِعتْ طَمِعَتْ وإذا فَوَّضْتَ إليها أساءتْ، وإذا حمَلْتَها على أمْرِ الله صَلَحت، وإذا تَركتَ الأمرَ إليها فَسَدت؛ فاحذَرْ نفسَك واتهِمْهَا على دِينِكَ.[3]

كيف أتعامل مع النفس ؟

١ كنْ قوَّاما على نفسك.

٢ اجعلها تابعة لك لا متبوعة .. فلو تبعتها لن تفلح أبدًا.

٣ اجعلها محكومة لا حاكمة وفي الحديث « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً ».[4]

٤ أشغلها بالحق قبل أن تشغلك بالباطل، املأ فراغها قبل أن تملأه.

٥ بادر نفسك قبل أن تبادرك، لا تعطها فرصة للتفكير في الشهوة.

◄ قال مالك بن دينار : إنَّ صدور المؤمنين تغلي بأعمال البر، وإن صدور الفجار تغلي بالفجور واللهُ يَرَى همومَكم، فانظروا ما همومُكم رحمكم الله.[5]

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٠)
(٢) نونية ابن القيم (ص: ٢٠)
(٣) ذم الهوى (ص: ٤٢)
(٤) رواه البخاري (٤٤٢٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(٥) حسن: أخرجه أحمد في الزهد (١٨٧٤) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية(٦/٢٨٨) حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مهدي عن جعفر قال سمعت مالك بن دينار به.

٦ استعن بالله عليها، واسأل ربك أن يهديها.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ».[١]

٧ استعذ بالله من شرها.

كان ﷺ يقول « اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي »[٢]

وعلَّم النبي ﷺ أبا بكر ﷺ أن يقول: « اللهم إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ ». قُلْهَا: إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ.[٣]

وعلَّم النبيُّ ﷺ ابنتَه فاطمةَ ﷺ أن تقول: « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ».[٤]

ثامنًا امقتها في ذات الله

◄ قال ابن تيمية : العارف يَسيرُ إلى الله بين مُشاهدة المِنَّةِ ومُطالعةِ عيبِ النَّفسِ والعمل.[٥]

◄ قال ابن القيم : ومَقْتُ النَّفْسِ في ذاتِ الله مِن صفاتِ الصِّدِّيقين، ويَدْنو العبدُ به مِن الله سبحانه في لحْظَةٍ واحدة أَضْعافَ أضعاف ما يَدنو به بالعمل.[٦]

---

(١) رواه مسلم(٢٧٢٢)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد(٤٧٦)، والبغوي معجم الصحابة(٥٢٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة(٢٩٣٥٢)، والنسائي عمل اليوم(٩٩٨)، من طرق عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، عن عمران بن حصين به. وسبق تخريجه .

(٣) صحيح: أخرجه الطيالسي(٩) والدارمي(٢٦٨٩)، وأحمد(٥١) وابن ابي شيبة(٢٧١٥٤) وأبو داود(٥٠٦٧) والنسائي في الكبرى(٧٦٤٤) من طرق عن عن يعلى بن عطاء، عن عمرو بن عاصم، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه به.

(٤) حسن: أخرجه النسائي في الكبرى(١٠٣٣٠)، وابن السني في عمل اليوم(٤٨)، والبزار (٦٣٦٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق(٧٨٣) من طرق عن زيد بن الحباب عن عثمان بن موهب عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ لفاطمة: فذكره. وعثمان : مقبول .
وله شاهد حسن من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٧٦٤) وأحمد (٢٠٤٣٠) والنسائي في الكبرى(١٠٤١٢)

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧)

(٦) إغاثة اللهفان (١/ ٨٧)

تاسعًا أنزلها منزلةَ عدوك

◄ قال ابن القيّم : النفسُ كالعدو إن عَرَفتْ صولَةٌ الجِدِّ منك استأسَرَتْ لك، وإن أَنِسَتْ منك المَهانة أَسَرَتْكَ.[١]

◄ قال ابن رجب : واعلَمْ أَنْ نفسَك بمنزلَةِ دابَتِكَ، إن عَرَفتْ منكَ الجدّ جَدّتْ، وإن عَرَفتْ منْكَ الكسَلَ طَمِعَتْ فيكَ، وطلبتْ منكَ حظوظَها وشَهواتِها.[٢]

عاشرًا حاسبها

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨]

◄ قال مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ [٣] : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ مُحَاسَبَةَ شَرِيكِهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ.[٤]

حادي عشر جاهد نفسك

عن فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ ».[٥]

◄ قال ابن الجوزي : امنعها ملذوذ مباحها ليَقَع الصُّلْح على ترك الْحَرَام فَإِذا ضجت لطلب الْمُبَاح ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾.[٦]

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٥)

(٢) نور الاقتباس (ص: ١٢٩-١٣٠)

(٣) ثقة فقيه توفي سنة ١١٧هـ

(٤) حسن: أخرجه وكيع في الزهد (٢٣٩)وابن أبي شيبة (٣٦٧٧٥)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس(٧) من طريق جعفر بن برقان عن ميمون به.

(٥) حسن: أخرجه ابن المبارك في الزهد(١٤١) ومن طريقه أخرجه أحمد(٢٣٩٥٠)، والترمذي(١٦٢١)، والنسائي في الكبرى(١١٧٩٤) وغيرهم عن حيوة بن شريح، قال: أخبرني أبو هانئ الخولاني، أن عمرو بن مالك الجنبي، أخبره، أنه سمع فضالة بن عبيد رضي الله عنه به.

(٦) المدهش (ص: ١٦٠)

القاطع الثاني : الشيطان

أيها السائر على طريق الهداية : من أخطر القُطَّاع الذين يقطعون عليك الطريق إلى الله؛ الشيطان ، الذي يقعد لك على كل سبيل يوصلك إلى الله، فهو يراقب خطواتك خطوة خطوة ، وينصب لك الكمائن ، ويتحين الفرص ، ويُعرقل سيرك ، فهو واقف لك بالمرصاد؛ فارغ وأنت مشغول ، لا ينام وتنام ، ولا تراه ويراك ، وتنساه ولا ينساك ، إن فتر عنك في الظاهر أبطن لك مكيدة في الباطن ، وإن مهَّد لك طريقًا في العلن نصب لك كمينًا في السرِّ ، - يأتيك من كل الجهات ، قال الله تعالى مبينا لنا كيد الشيطان : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]

◄ قال ابن القيم : السبل التي يَسلكها الإنسانُ أربعة لا غير:

فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه، وتارة على شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه

فأيّ سبيل سلكها وجَدَ الشيطان عليها بالرصد له، فإن سلكها في طاعة وجده عليها يُثبِّطه عنها ويقطعه، أو يَعوقه ويُبطؤه، وإن سلكها لمعصية وجَدَه عليها حاملا له وخادمًا ومُعينًا ومُمنِّيًا، ولو اتُّفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه مِن هناك.[1]

وعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ ».[2]

◄ قال ابن القيم : فما مِن طريق خير إلا والشيطان قاعد عليه يقطعه على السالك.[3]

يجري منك مجرى الدم، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ أَنَّ النبي ﷺ قال: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ».[4]

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٤)

(٢) حسن: أخرجه ابن ابي شيبة(١٩٦٧٥)، وأحمد(١٥٩٥٨)، والنسائي (٣١٣٤) وغيرهم من طريق موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي الفاكه رضي الله عنه به .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٠٢)

(٤) رواه البخاري (٢٠٣٨) ومسلم (٢١٧٥)

◄ قال القاضي عياض وغيره : الحديث على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه.
وقيل : هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل: يُلقي وسوسته في مسَام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب.[١]

معك لا يفارقك إلا إذا ذكرت الله، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ »، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟، قَالَ : وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فلاَ يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ ».[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ - يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ - إِلاَّ بِبَابِهِ رَايَتَانِ : رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرَايَتِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ ».[٣]

الأبواب الثلاثة التي يدخل منها الشيطان على الإنسان

- الغفلة.
- والشهوة.
- والغضب.

- ولابد للإنسان من هذه الثلاثة إلا مَن عصم الله.[٤]

لا تُسلِّم عقلك وقلبك للشياطين

فالشيطان يركز على أغلى ما تملك؛ قلبك وعقلك، فيلقي فيهما الشبهات والشكوك .. ليجرّك إلى الهلاك.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٥٧)
(٢) رواه مسلم (٦٩)
(٣) حسن: أخرجه أحمد (٨٢٨٦) والطبراني في الأوسط(٤٧٨٦)، والبيهقي في الزهد الكبير(٧٠٥) من طريق عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.
(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٦)

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ » .[1]

◄ معناه : أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه .[2]

والشيطان إنّما يصارع ليملك القلب ويستولي عليه، فيفسده؛ وبفساده يفسد الجسد كله، يقول الرسول ﷺ: « أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صلَحتْ صَلَحَ الْجَسدُ كله، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَد كلهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْب ».[3]

كيف ننجو من كيد الشيطان ؟

إذا علمتَ أيها السائر عداوة الشيطان، فعليك أن تستعدَّ له وتواجهه، وتتحصن منه لئلا يقطع عليك طريقك إلى الله، وكما أن الله تعالى أخبرنا بعداوة الشيطان، علمنا كيف نتحصن من الشيطان، ونحترز مِن شرِّه ؟

فمن ذلك على سبيل الإجمال لا التفصيل:

تعوَّذ بالله من الشيطان، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

حافظ على أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم، فكل هذه حصن حصين من الشيطان.

اذكر اسم الله عند كل شيء من أمرك، فالتسمية حرزٌ من الشيطان، وعصمة من مخالطته للإنسان في طعامه وشرابه، وجماعه، ودخوله بيته، وسائر أحواله.

(١) رواه البخاري(٦٧٢٣)، ومسلم(٤٣١).
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٤٥١).
(٣) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

- **داوم على قراءة القرآن**، وخاصة سورة البقرة، وآية الكرسي، وآخر آيتين من سورة البقرة، والمعوذات ... وغيرها

- **الدعاء**، ومِن ذلك الأدعية والتحصينات التي وردت عن النبي ﷺ لردِّ كيد الشيطان.

- **حافظ على الوضوء والصلاة**، ولا سيما عند الغضب والشهوة، وتجنب فضول النظر والكلام والطعام والشراب والنوم، لتضييق مجاري الشيطان عند الإنسان.

- **كُن عبدًا لربك يحميك من عدوك**، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢].

- **علِّق قلبك بالله فمتى اتصل القلب بالله** .. واتجه إليه بالعبادة.. وارتبط بالعروة الوثقى.. فلا سلطان حينئذ للشيطان عليه.. وكفى بربك وكيلاً يعصم وينصر، ويبطل كيد الشيطان.

القاطع الثالث : الدنيا

خَلَقَ اللهُ الدنيا في صورة جميلة مليحة، تستميلُ الناسَ بجمالها، وتغرُّهم بزينتها، وتخدعهم بشهواتها، امتحانًا وابتلاءً، ليعلم اللهُ مَن يقدِّم أوامر الله على شهوات نفسه، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

كم من سائر إلى الله ترك الطريق لأجل الدنيا !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ».[1]

(١) رواه مسلم (١١٨)

◄ قال الحسنُ البصري : واللَّهِ لقدْ رأيْناهُمْ صُوَرًا ولا عُقُولَ، أجْسَامًا ولا أحْلامَ، يغْدُون بدرْهمين، ويَرُوحون بدرهمين، يَبِيعُ أحدُهمْ دَيْنَهُ بثمَنِ العَنْزِ.[1]

وقد عرّف اللّه عزَّ وجلَّ أولياءه بغوائل الدنيا وآفاتها، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها ليحذروها، ولا يركنوا إليها، ولا يغتروا بزينتها.

الدنيا لعب ولهو وزينة سريعًا ما تزول، قال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠]

الدنيا مهما طالت فعمرها قصير، ومتاعها مهما عَظُمَ فهو حقير

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]

وحذرنا اللّه تعالى من الاغترار بالدنيا

قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣]

وبيَّن لنا النبي ﷺ حجم الدنيا الحقيقي

عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا , مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ , فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ ».[2]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ » فَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ: « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ » قَالُوا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ: « فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ ».[3]

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٤)، وأبو نعيم في الفتن(٦٦)، والحاكم في المستدرك(٦٢٦٣) عن مبارك بن فضالة عن الحسن به.
(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨)
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٧) (كنفته) أي جانبه (جدي أسك) أي صغير الأذنين.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ».[1]

فمن المعلوم بالضرورة أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الآخرةَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وما ذلك إلا لهوان الدنيا عليه سبحانه.[2]

الدنيا ليست مذمومة مطلقًا وكذلك ليست محمودة مطلقًا

فالدنيا المذمومة المأمور باجتنابها هي القاطعة للعبد عن سلوك الصراط المستقيم الموصل إلى الله، وإلى رضاه، وإلى الجنة.

أما المؤمن الطائع فالدنيا بالنسبة له نعم الدار، لأنه تزود منها لآخرته، وأخذ منها زاده لجنة عرضها السماوات والأرض.

كيف أنجو من هذا القاطع ؟

العاقل يقدِّم العمل للآخرة على العمل للدنيا، ويؤثر الباقية على الفانية

والجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة، والفانية على الباقية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويعلم مَن يستحق الكرامة ممن يستحق الإهانة : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢٠].

---

(١) صحيح: أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وأخرجه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (٢٢٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي (٢٣٢٠) وابن ماجه (٤١١٠) وأبو نعيم في الحلية(٣/٢٥٣) من حديث سهل بن سعد .

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٣١٦) بتصرف

لا تجعل الدنيا أكبر همك

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ».[1]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّهُ، مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فَلاَ يُبَالِي اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ».[2]

لا تؤثر الفاني على الباقي

قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]

◄ قال بعض السلف : ابن آدم، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة، فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظامًا.[3]

لا تعلّق قلبك بها

◄ قال الشّافعيّ في ذمّ الدّنيا والتّمسّك بها:

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فإني طَعمتُهَا ... وَسِيْقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
فَلم أَرَهَا إِلاَّ غُرُورًا وَبَاطِلاً ... كَمَا لاَحَ فِي ظَهْرِ الفَلاةِ سَرَابُهَا
ومَا هِيَ إِلاَّ جِيفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ ... عَلَيْهَا كِلاَبٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا
فإنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْمًا لأَهْلِهَا ... وإنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلاَبُهَا[4]

---

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجة (٤١٠٥) والبيهقي في الآداب (٨٠٢) من طريق شعبة عن عمر بن سليمان، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان، يحدث عن أبيه، قال: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه به.
(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (١٦٦) والحاكم في المستدرك(٣١٥٨) من طرق عن عمر بن محمد بن زيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما به.
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ١٥)
(٤) نزهة المجالس ومنتخب النفائس: عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (المتوفى: ٨٩٤هـ) (٢/ ١٤)

القاطع الرابع : الهوى

ما أقبح الهوى، وما أشدَّ فتْكه بصاحبه، حتى إنه ليصدّه عن الحق وإن كان واضحًا وضوح الشمس، وليس ذاك إلا لأن الهوى يورث الكبر في القلب فلا يقبل الحق ولو كان في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠]

الهوى إله يُعبد من دون الله، قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣]

◀ قال قتادة[١] : هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورَعٌ ولا تقوى.[٢]

الهوى يَهْوِي بصاحبه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]

◀ قال الشعبي[٣] : إنما سُمي الهوَى هوى، لأنه يَهوي بصاحبه في النار.[٤]

اتباع الهوى يُفسد العقل ويُورث النفس الغفلة عن عيوبها، وعمي البصيرة عن آفاتها، فيستأنس صاحب الهوى بالذنب، ويستلذ بالخطيئة ، وينفر من الطاعة ويضجر من النصيحة ، ويميل إلى ما يبغض الله وينفر عما يحب الله ، ويسير وفق هواه وشهوته ، ولهذا مدح الله من خالف هواه فقال : ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠] وذمَّ من تبع هواه، فقال تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]

في محراب الهوى؛ ضُيِّعت الصلوات، وارتُكبت المنكرات، واتُّبعت الشهوات، واقترفت الموبقات.

مَن قهر هواه عزَّ وساد، ومَن قهره هواه ذلَّ وهان وهلك وباد.[٥]

يُوسُف عليه السلام لما مَلَك هَواهُ صار مَلِكا، ولما مَلَكت امرأةَ العزيز شهوتُها ذلَّتْ.

---

(١) ثقة ثبت توفي سنة بضع وعشرة ومائه

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره(٢٢/ ٧٦) حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة به.

(٣) عامر بن شراحيل ، الشعبي ، أبو عمرو الكوفي : ثقة مشهور فقيه فاضل ، توفي بعد سنة ١٠٠ هـ

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٧)

(٥) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٤٥٨)

القاطع الخامس : صحبة السوء

كم من سائرٍ إلى الله ضلَّ السبيل وفارق الطريق بسبب قرين فاسد أو مجموعة من القرناء الأشرار، لأنَّ الصاحب ساحب، والإنسان بطبعه يتأثر بصاحبه وجليسه، ويكتسب من أخلاق قرينه وخليله، والمرءُ إنما توزن أخلاقُه وتُعرف شمائله بإخوانه وأصفيائه.

عن المرءِ لا تسأل وسَلْ عن قرينه ... فكلُّ قرينٍ بالمقارن يَقتدي
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خَيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

صحبة السوء ضلال في الدنيا وخذلان يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

صحبة السوء يريدون إغراقك في الشهوات، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧]

- **لا يريدون** منكَ الميل فقط، وإنما الميل العظيم الذي لا تقوم لكَ بعده قائمة.

◄ لذلك قال ابن الجوزي: لا تُصادقَنَّ فاسقاً ولا تَثِق إليه فإن مَن خان أوَّلَ مُنعمٍ عليه لا يفي لك.[1]

لذلك حذرنا الله من اتباع سبيل الفاسقين والفجار : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]

عندما تختار صديقك فأنت

- **تحدد** مسارك في الدنيا.
- **تختار** رفيقك في الآخرة.

ضوابط اختيار الصديق

- علاقته بربه.
- حاله في نفسه.
- حاله مع الناس.

(١) المدهش (ص: ٤٢٦)

وإليك بعض النماذج التي تبين أثر الصحبة

فالطيور على أشكالها تقع، وكل قرين بالمقارن يقتدي، وإن العبد ليستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم، لأن رؤيتهم تذكره بالله عز وجل.

◄ قال سفيان بن عيينة : انظروا إلى فرعون معه هامان، انظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم شر منه، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صَحِبَه رجاءُ بن حيوة فقوَّمَه وسدَّده.[١]

◄ وعن ابن المبارك قال: إذا نظرتُ إلى الفُضيل جَدَّدَ ليَ الحزنَ، ومقَتُّ نفسي.[٢]

◄ وكان الإمام أحمد، إذا بلَغَه عن شخصٍ صلاحٌ أو زهدٌ أو قيامٌ بالحق، أو اتباعٌ للأمر: سأل عنه، وأحبَّ أن يُجرى بينه وبينه معرفة، وأحبَّ أن يعرف أحواله.[٣]

◄ وقال الذهبي : إن الحافظ القاسم بن محمد البِرْزالي: هو الذي حبَّب إليَّ طلب الحديث، فإنه رأى خَطِّي، فقال: خطُّك يُشبه خطَّ المُحدِّثين! فأثّر قولُه فيَّ، وسمعتُ منه.[٤]

● وعلى الجانب الآخر، تأمل أثر صحبة السوء

عَنْ المسيب بن حزن قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ »، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ».[٥]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: « قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].[٦]

---

(١) العزلة للخطابي (ص: ٤٦)

(٢) حسن: أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه (١٠٣٣) حَدَّثَنا عَبْد الصمد(هو ابن يزيد مردويه), قال: حدثنا رَبَاح بْنُ خَالِدٍ عن ابن المبارك به.

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي(ص: ٢٩٩)

(٤) ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام للذهبي (ص: ٤٠)

(٥) رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤)

(٦) رواه مسلم (٢٥)

نهاية الرحلة

وبعد طول الترحال، وعناء الأسفار، ومناجاة الأسحار، وقيام الليل وصيام النهار، والصبر على اللأواء وتحمل البلاء، وعمل الصالحات، وترك المنكرات، وحث المطايا، ومبادرة المنايا- آن للفرسان أن يترجَّلوا، وللمسافرين أن يضعوا عصا الترحال ليقبلوا على الكريم المتعال.

ولنهاية الرحلة مراحل:

المرحلة الأولى : عند مجيء الأجل

❁ **أبْشر يا مَن سرت على طريق الهداية** عندما يأتي أجلك تنزل بك تنزل ملائكة بيض الوجوه معهم كفن من الجنة وطيب من الجنة لقبض روحك الطيبة.

❁ **بشراك بشراك أيها السائر إلى اللَّه**، انتهى التعب ... انتهى الحزن بمجرد أن ترى وجوه الملائكة التي تشع بالنور، قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ[1] ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ».[2]

❁ البشرى عند الموت

الملائكة تبشرك وتثبتك، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠]

(١) الحَنوط : ما يُخْلط من الطِّيب لأكفان الموْتَى وأجْسَامِهم خاصَّة.

(٢) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (١٢١٨٥) وأحمد (١٨٥٣٤) والطيالسي (٧٨٩) وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

◄ قال ابن كثير : تتنزل عليهم الملائكة، يعني عند الموت قائلين : ﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾، أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا ﴾، أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال، فإنا نخلفكم فيه، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير.[1]

المرحلة الثانية : عند خروج الروح وفي القبور

خروج الروح الطيبة من الجسد الطيب

ما أجمله من نداء لتلك الروح التي طالما بذَلَت وجدَّتْ في طاعة الله عندما يقال لها عند الوفاة : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]

حقا إنها روح طيبة مطمئنة طالما سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، واشتاقت إلى لقائه، فلا تسَلْ عن راحتها بعد هذا النداء وهي تتلهف لدخول دار الكرامة ؛ الجنة.

قال رسول الله ﷺ : « ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ . قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا »[2].

روح سهلة .. فما أسهل خروجها !

ويقال لها : « اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي جَسَدٍ طَيِّبٍ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ »[3].

ما أطيبك من روح .... وما أطيب مأواكِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٧)

(٢) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (١٢١٨٥) وأحمد (١٨٥٣٤) والطيالسي (٧٨٩) وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) صحيح : أخرجه أحمد (٨٧٦٩)والنسائي في الكبرى (١١٣٧٨) وابن ماجه (٤٢٦٢) من طرق عن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وها هي تلك الروح المطمئنة تنطلق في رحلة الأفراح ..
إلى السماء السابعة حيث لقاء الملك

قال رَسُول اللهِ ﷺ: « فَإِذَا أَخَذَهَا (ملك الموت) لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ ، يَعْنِي بِهَا ، عَلَى مَلاَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهَا « فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ »[1]

فَيُشَيِّعُهُ[2] مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى . قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا[3] ، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي ، وَمَالِي ».[4]

---

(١) صحيح: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وسبق تخريجه.
(٢) فيُشيّعه أي : يتبعه ، تكريماً له.
(٣) الرَّوْح بِالْفَتْحِ: الرَّاحَة وَالنَّسِيم.
(٤) صحيح: من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. وسبق تخريجه

المرحلة الثالثة : يوم القيامة

١ لا يحزنون عند الفزع الأكبر

لهم عند الخروج من القبر .. أمان من الفزع .. وبشريات كريمات بالنعيم في الجنات.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣]

٢ هم في ظل عرش اللّه يوم لا ظل إلا ظله

في يوم طوله خمسون ألف سنة ، والناس في كرب وزحام وحرٍّ يصهر الحديد، ترى المهتدين في ظل عرش العزيز الحميد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».[١]

وفي حديث أَبي اليَسَرِ كعب بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ ».[٢]

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي ».[٣]

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١)
(٢) مسلم (٣٠٠٦)
(٣) رواه مسلم (٢٥٦٦)

٣ يشربون من حوض النبي ﷺ

أبشر يا مَن سلكتَ طريق الهداية، ففي كربات القيامة، النبي ﷺ ينتظرك على الحوض، عن أَسْمَاء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: « أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ».[١]

وعن سَهْل بن سعد رضي الله عنه قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ».[٢]

إنه الحوض وما أدراك ما حوض النبي ﷺ، عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو رضي الله عنهما : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا ».[٣]

إياك أن تكون ممن يُطرد عن حوض النبي ﷺ فعن أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما قالت : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ». قَالَ : فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.[٤]

٤ يأخذون كتبهم بأيمانهم

أخي السائر إلى الله : هل ذقت فرحة النجاح بعد تعبك طيلة فصل دراسي؟ فكيف لو ذُقت فرحة النجاح الأخروي ؟ فرحة لا يصفها إلا مَن يدخرها لك، قال تعالى :

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤]

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٨) ومسلم (٢٢٩٢)
(٢) رواه مسلم (٢٢٩٠)
(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢)
(٤) رواه البخاري (٧٠٤٨) ومسلم (٢٢٩٢)

تخيل : مِن شدة الفرح يقول لكلِّ مَن لَقيه: خذوا اقرءوا كتابيه، لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة ، لأنه ممن بدَّلَ اللهُ سيئاتِه حسنات.

٥ ثقل موازين المهتدين

أبشر يا مَن كنت تزن أمورَك كلَّها بميزان القسط - ميزان الشرع - أبشر بثقل ميزانك، قال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [القارعة: ٦، ٧]

٦ تبيض وجوههم وتشرق من شدة الفرح

فالوجه صفحة ظاهرة، تنبئ عما في الباطن ، قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]

بعد تعب الدنيا والصبر .. والألم.. أشرقت تلك الوجوه وحُقَّ لها أن تُشرق وتَسعد وتفرح ففي انتظارهم جنة عرضها السموات والأرض، في انتظارهم نعيم لم يخطر ببال فهنيئًا لتلك الوجوه.

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

تَبْيَضُّ وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتَسْوَدُّ وجوه الكافرين من الحزن والكآبة.

٧ يلقَون ربًا غفورًا يستر عيوبهم ويغفر ذنوبهم

أبشر يا من كنتَ تشتاق إلى لقاء الله، أبشر يا مَن كنتَ تحب لقاء الله، عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ».[١]

(١) رواه البخاري (٦٥٠٨) ومسلم (٢٦٨٦)

وإذا أحبَّ الله لقاءك فلا تسأل عما ينتظرك من إكرام .. ولا تسأل عما ينتظرك من نعيم.

لعلك الآن تريد أن تسأل : عندي ذنوب، أخاف أن أُفضح بها يوم القيامة ؟!

أبشر، فالذي سترها عليك في الدنيا لن يفضحك بها يوم القيامة وسيتجاوز عنك ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ».[1]

المرحلة الرابعة والأخيرة : دخول الجنة

وهنا لاح خط النهاية، وآن الأوان للفوز الأبدِيّ، والنعيم السرمديّ، والراحة التي لا يتبعها تعب، واللذة الذي لا يعقبها نصَب، آن للزارعين أن يجنوا الثمار، وللمشتاقين أن يلقوا الرحيم الغفار، آن الأوان لوداع الأتراح، وسُكنى بلاد الأفراح، آن للذين أحسنوا أن ينالوا الحسنى وزيادة، وأن يسعدوا غاية السعادة، آن للنفوس المطمئنة أن تدخل الجنة، وما أدراك ما الجنة لذَّات متوافرة، وأفراح متواترة، ونِعَم مُتكاثرة، في أبَدٍ لا يزول، ونعيم لا يحول، ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]

هي جنة طابت وطاب نعيمها ... فنعيمها باق وليس بفان

دار السلام وجنة المأوى ... ومنزل ثلة الإيمان والقرآن

فيها الذي والله لا عين رأت ... كلا و لا سمعت به الأُذنان

(١) رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨)

بأيّ شيء نصف الجنة ؟!

❁ **وهي النعيم** الذي لا يحيط بحقيقته إلا مَن خَلَقه وأنشأه

❁ **مهما وصف لك الواصفون** فوصْفُهم قاصرٌ لأنهم بشر، وقد قال ربُّ البشر: « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛ واقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].[1]

❁ **إنها الجنة** : تلك السلعة الغالية

❁ **إنها الجنة** : تلك البضاعة الرَّابحة

❁ **إنها الجنة** : دار الأولياء .. وموطن الأتقياء .. ومنازل السُّعداء .. من دخلها فهو السعيد حقًّا.

❁ **الجنة** .. ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ... ﴾ [محمد : ١٥].

❁ **شبر في الجنة** : « مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ».[2]

❁ **موضع قدم تملكه في الجنة** أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات؟!

❁ **بل مجرد أن** يزحزح العبد عن النار ويدخل الجنة فهذا هو الفوز العظيم.

قال تعالى ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

❁ **هي دار السلامة والسلام** : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٧]

❁ **في الجنة منتهى الأمن والأمان** ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [الدخان: ٥١]

❁ **في الجنة لا خوف ولا فزع** ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [ص: ٥٠]

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

❁ **الأمـان يتجلـى** بأكمل صوره في الجنة فالجميع آمن ومطمئن لا يخشى على نفسه أو ماله أو عرضه.

❁ **وأكـرم بهـم** : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]

❁ **تسمع عند أول قدم في الجنة** « إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا »[1].

- أهل الجنة .. ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين: ٢٤]
- أهل الجنة .. ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المطففين: ٢٥]
- أهل الجنة .. ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]
- أهل الجنة .. ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الدخان: ٥٢، ٥٣]
- أهل الجنة .. ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [الطور: ١٧، ١٨]
- أهل الجنة .. ﴿ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦]
- أهل الجنة .. ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]

❁ **من يدخل الجنة** « يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ »[2].

هِي جنةٌ طابَتْ وطابَ نَعِيمُهَا ... فنعيمُهَا بَاقٍ ولَيسَ بِفَانِ

دارُ السلامِ وجَنَّةُ المأوى ومَنْزِلُ ... عَسْكَرِ الإيمانِ والقُرآنِ

فالدارُ دارُ سَلامةٍ وخِطابُهم ... فيها سَلامٌ واسمُ ذَي الغُفْرانِ

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريّ وأبي هُريْرة رضي الله عنهما.
(٢) رواه مسلم (٢٨٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

و يا له من نعيم ذلك النعيم !

نعيم الجنة لم يخطر على قلب بشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] .[١]

◄ قال ابن القيم رضي الله عنه: وكيف يقْدُرُ قدرَ دارٍ غرسَها اللهُ بيده وجعلها مَقراً لأحبابه وملأها من رحمته وكراماته ورضوانه ووصف نعيمَها بالفوز العظيم وَمُلْكَها بالمُلك الكبير، وأودعها جميعَ الخيرِ بحذافيره وطهَّرَها من كلِّ عيبٍ وآفةٍ ونقصٍ.[٢]

نعيم الجنة يُنسيك كل بؤس الدنيا وهمومها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ ».[٣]

إذا سألت عن ريح الجنة ؟

« إِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ».[٤]

إذا سألت عن أبواب الجنة وسعتها ؟

« إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ».[٥]

إشراقة

أثبتت الدراسات الحديثة بأن المسافة بين مكة وهجر هي نفس المسافة بين مكة وبُصرى وهي(١٢٧٣) كم.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤)
(٢) حادي الأرواح (ص: ٢٨٠)
(٣) رواه مسلم (٢٨٠٧)
(٤) رواه البخاري (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٥) رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والمصراعان : جانبا الباب.

إذا سألت عن عدد أبواب الجنة ؟

« مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ ».[١]

إذا سألت عن تربة الجنة ؟

فتربتها المسك والزعفران، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ ».[٢]

وعن أبي سعيد ﷺ أن ابن صياد سأل النبيَّ ﷺ عن تربة الجنة ؟ فقال: « دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ ».[٣]

◄ قال ابن رجب : تربة الجنة في لونها بيضاء ومنها ما يشبه لون الزعفران في بهجته وإشراقه وريحها ريح المسك.[٤]

إذا سألت عن قصور الجنة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ » قَالَ : وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ [٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ.[٦]

---

(١) رواه مسلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.
(٢) رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) (الجنابذ) هي القباب
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢٨) ،الدرمك هو الدقيق الحواري الخالص البياض. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٥٢)
(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٧)
(٥) رواه البخاري (٧٠٢٤) ومسلم (٢٣٩٤)
(٦) رواه البخاري (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢) القَصَب هو اللؤلؤ المجوف، والصَّخَب الصوت المرتفع، والنَّصَب المشقة والتعب.

إذا سألت عن خيام الجنة ؟

عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ، فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ».[1]

تخيـل هذه اللؤلؤة العظيمة التي قد يكون طولها ١٠٠كم وعرضها كذلك بحساباتنا اليوم وهي غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار!

إذا سألت عن صور أهل الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إنّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَتْفِلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ (عود الطيب)، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ ».[2]

إذا سألت عن سن أهل الجنة وجمالهم

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاَثِينَ أَوْ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً ».[3]

هـذا وسنُهُم ثـلاثٌ مَعْ ثَـلاَ ... ثِيـنَ التي هِـيَ قُـوةُ الـشُـبَّـانِ
وصَغِيرُهُمْ وكَبِيرهُمْ في ذا عَلَى ... حَدٍّ سَواء مـا سِـوَى الـولْـدَانِ
ألْوانُهُم بيضٌ ولَيسَ لَهُم لُـحَى ... جُعْدُ الشُعُورِ مُكَحَّلُو الأَجْفَانِ
هذا كمالُ الحُسْنِ في أبْشَارِهِمْ ... وشُعُـورِهِم وكَـذَلِكَ العَيـنَانِ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٧٩) ومسلم (٢٨٣٨) واللفظ له
(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤)
(٣) حسن لغيره : أخرجه الترمذي (٢٥٤٥) والشاشي في المسند(١٣٤٢) والخرائطي في اعتلال القلوب(٢٥٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وفيه شهر بن حوشب.
وأخرجه ابن أبي شيبة(٣٥١٤) وأحمد(٧٩٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وفيه علي بن زيد . وبالجملة يحسن لغيره.
الأجرد : مَن لا شَعْرَ في بدنه. والأمرد : الَّذي لا شَعْرَ على ذقنه.

إذا سألت عن طعام أهل الجنة

عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه أن يَهُودِيا سأل النبي ﷺ عن أول طعام أهل الجنة ؟ قَالَ: « زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ » قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهِ؟ قَالَ: « يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا ».[1]

وطَعَامُهُم مَا تشْتَهيه نُفُوسُهُمْ ... ولُحُومُ طَيرٍ ناعِمٍ وسِمَانِ
وفَوَاكهُ شَتَّى بِحَسْبِ مُنَاهُمُ ... يا شِبْعَةً كَمُلَتْ لِذِي الإِيمَانِ
لحم وخَمرٌ والنسا وفواكهٌ ... والطَّيبُ مَعْ رَوحٍ ومَعْ رَيحَانِ
وصِحافُهم ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيهُم ... بأكُفِّ خُدَّامٍ مِن الوِلْدَانِ

إذا سألت عن أنهار الجنة

قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ [محمد: ١٥]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ، أَوْ طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ ».[2]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ ».[3]

من أين تتفجر أنهار الجنة ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ ».[4]

---

(١) رواه مسلم(٣١٥)

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١) (أذفر) شديد الرائحة الذكية

(٣) حسن: أخرجه هناد في الزهد(١٣٢)وابن أبي شيبة(٣٢٣١٩)وابن ماجه(٤٣٣٤) من طريق محمد بن فضيل. وأخرجه أبو نعيم في صفة الجنة(٣٢٦) من طريق حماد بن زيد. كلاهما عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما به.

(٤) رواه البخاري (٢٧٩٠)

أَنْهَارُهَا فِي غَيرِ أُخْدُودِ جَرَتْ ... سُبْحَانَ مُمْسِكُهَا عن الفَيَضَانِ
مِن تَحتِهِم تَجْرِي كَمَا شَاءوا مُفَـ ... ـجَّرَةً وما لِلْنَهْرِ مِن نُقْصَانِ
عَسَلٌ مُصَفًّى ثم مَاءٌ ثُمَّ ... خَمْرٌ ثُمَّ أَنْهَارٌ مِن الأَلْبَانِ

إذا سألت عن أشجار الجنة

أشجارها عالية وقطوفها دانية : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإنسان: ١٤]

◄ قال مجاهد[١] : إذا قام ارتفعتْ بقدْرِه، وإن قعَدَ تدلَّتْ حتى ينالها، وإن اضطجع تدلَّت حتى ينالَها، فذلك تذليلها.[٢]

عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيْرُ الرَّاكِبُ الجَوادَ أَو المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا ».[٣]

إذا سألت عن نساء الجنة

فاسمع إلى ربك : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥]

◄ قال قتادة : طهرَهُنَّ اللهُ مِن كلِّ بَولٍ وغائطٍ وقَذَرٍ، ومِنْ كلِّ مأثَمٍ.[٤]

وقال تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]

◄ قال ابن عباس : قاصراتُ الطرف على أزواجهن لا يَرينَ غيرَهم، واللهِ ما هُنَّ مُتَبرجاتٍ ولا مُتَطلِّعاتٍ.[٥]

وتأمل وصف جمالهن، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَملأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ».[٦]

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج القرشي مولاهم، ثقة إمام في التفسير والعلم، توفي سنة (١٠٢ هـ)
(٢) صحيح: أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٠٣) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.
(٣) رواه البخاري (٦٥٥٣) ومسلم (٢٨٢٧)
(٤) صحيح : أخرجه عبد الرزاق في التفسير(٢٥) والطبري في تفسيره (١/ ٤٢١) من طرق عن قتادة رضي الله عنه .
(٥) صحيح: أخرجه في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٦)
(٦) رواه البخاري (٢٧٩٦)، النصيف : الخِمَار.

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الجَنَّةِ أَعْزَبُ ».[1]

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالِبًا ... لِوِصَالِهِنْ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ
لَو كُنْتَ تَدْرِي مَن خَطَبْتَ وَمَن طَلَبْ ... تَ بَذَلْتَ ما تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْ ... تَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفانِ
فاعْشِقْ وَحَدِّثْ بالوِصَالِ النَّفْسَ وَابْ ... ـذُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذا إِمْكَانِ
واجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ ... مَ الوَصْلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِن رَمَضَانِ

إذا سألت عن درجات الجنة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ ».[2]

إذا سألت عن طيب وروائح أهل الجنة

يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم، ودرجاتهم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ - عُودُ الطِّيبِ - ».[3]

إذا سألت عن خدم أهل الجنة

قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الطور: ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنسان: ١٩]

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤)
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠)
(٣) رواه البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤)

◄ قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : إنَّ أدنى أهل الجنة منزلا مَن يسعى إليه ألفُ خادم، كلُّ خادم على عمل ليس عليه صاحبه، وتلا هذه الآية ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنسان: ١٩].[١]

أعظم نعيم أهل الجنة

هـي اللـذة التي طالما عمل لها العاملون .. وذاب شوقًا لها المتقون .. فهي لذة اللذات .. وغاية الأمنيات .. إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم !

◄ قال ابن القيم : وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم.[٢]

واللهِ مَا في هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذّْ ... مِن اشْتِيَاقِ العَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
وكَذَاكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ ... هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلإِنْسَانِ
واللهِ لَولا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ في الْـ ... جَنَّاتِ ما طَابَت لِذِي العِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ ... وَخِطَابُه في جَنَّةِ الحَيَوانِ

قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣].

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ».[٣]

فـواللهِ مـا طابـت الجنـة إلا برؤيتـه، ولا اكتمل نعيمها إلا بمشاهدته، قال الله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم.

---

(١) حسن: رواه البيهقي في البعث والنشور (٣٧١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
(٢) حادي الأرواح (ص: ٢٨٥)
(٣) أخرجه مسلم (١٨١)

لقاء الرضوان

رضى الله أكبر من نعيم الجنة، قال تعالى ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ، يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً ».[1]

الجنة غالية وليست رخيصة

قال رسول الله ﷺ " أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ ".[2]

يَا سِلعَةَ الرحمن لَسْتِ رَخِيْصَةً ... بَلْ أَنْتِ غَاليةٌ عَلَى الكَسْلانِ
يَـا سِلْعَةَ الرَّحمن لَيْسَ يَنَالُهَا ... في الأَلْفِ إلا واحدٌ لا اثْنَـانِ
يَـا سِلعَةَ الرَّحمن مَن ذَا كَفؤُهَا ... إلا أَوُلُوا التَّقْوى مَعَ الإِيْمَانِ
يَـا سِلعةَ الرَّحمن سُوقُكِ كَاسِدٌ ... بين الأَرَاذَلِ سَفْلَةِ الحَيوانِ
يَا سِلْعَةَ الرحمن أَيْنَ المُشْتَرِي ... فَلَقَدْ عُرِضتِ بَأَيْسرِ الأَثْمانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحمن هَلْ مِنْ خَاطِبٍ ... فَالمَهْرُ قَبْلَ الموتِ ذُو إِمْكَانِ
يَا سِلْعَةَ الرحمن كَيْفَ تَصبُّر الـ ... خُطَّابُ عَنْك وَهم ذَوُو إِيْمَانِ
يَـا سِلْعَةَ الرَّحمنِ لَولا أَنَّهَا ... حُجِبَتْ بِكُل مَكَارِهِ الإِنْسَانِ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩) ومسلم (٢٨٢٩)

(٢) حسن : أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٨٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٧/٨) من طرق عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه عن النبي ﷺ.
وأخرجه الترمذي(٢٤٥٠)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٤٦٠) وابن أبي الدنيا في قصر الأمل(١١٥) من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل الثقفي قال: حدثنا أبو فروة يزيد بن سنان التميمي قال: حدثني بكير بن فيروز، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

مَـا كَـانَ عَنْهَا قَـطُّ مِنْ مُتَخلِفٍ ... وَتَعَـطَّلـتْ دَارُ الجَزاءِ الثَّانِي
لَكِنَّهَـا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيْهَةٍ ... لِيُصَدَّ عَنْهَا المُبْطِلُ المُتَوانِي
وَتَنَالُهَا الهِمَمُ التِّي تَسْمُو إِلى ... رُتبِ العُلَى بِمَشِيْئَةِ الرَّحمنِ

فسارع إلى المغفرة والملك العظيم، فقد دعاك ربك فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣]

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى ... نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ[1]

(١) مدارج السالكين (١/ ١٤٢)

- مقدمة ٣
- تمهيد ٤
- خريطة الرحلة ٦
- أهم رحلة في حياتك ٨
- رحلة سعيدة لأسعد إنسان ٩
- هيا انطلق لا تتردد لا تسوف لا تتلكأ ١٠
- كلنا يحتاج إلى رحلة الهداية ١٣
- هذه الرحلة لك أنت ١٤
  - الكل مقصود برحلة الهداية ١٤
  - رحلتنا .. ارتحال من ... إلى ١٥
- وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٦
  - الهداية من الله وحده ١٦
  - هدايتك لن تزيد في ملك الله شيئا وغوايتك لن تنقص من ملكه شيئا ١٧
  - هدايتك ليست لشرف نسبك أو لعلو منصبك ! ١٨
  - هدايتك ليست بذكائك ولا بإمكاناتك ١٨
  - الذي بيده الهداية حكيم خبير ١٩

- عروض مغرية في طريق الهداية ٢٠
  - العَرْض الأول : رحمة بلا حدود لمن أقبل على الرَّب المعبود ٢٠
  - العرض الثاني : شدة فرح الله بك ٢٠
  - العرْض الثالث: محبة الله لك..... ٢١
  - العرْض الرابع : مغفرة الذنوب ٢١
  - العرض الخامس : تبديل السيئات حسنات ٢٢
  - العرض السادس : مضاعفة الحسنات ٢٢
  - العرض السابع : استغفار الملائكة ودعاؤهم لك ٢٣
- لا تتخلف عن الرحلة ٢٤
  - بادر حتى لا يغلق الباب دونك ٢٤
  - لا تتخلف حتى لا تندم في وقت لا ينفع فيه الندم ٢٤
- لا تتأخر عن موعد الرحلة ٢٥
- دليل المسافر ٢٨
- وثائق السفر ٣٢
- تكاليف الرحلة ٣٣
- احجز مقعدك ٣٤
- عقبات البدايات ٣٩
  - العقبة الأولى: الكفر بالله والإشراك به ٣٩
  - العقبة الثانية : الرياء وضعف الإخلاص ٤١
  - العقبة الثالثة: البدعة ٤٢

العقبة الرابعة : الجهل ٤٣
العقبة الخامسة : الاحتجاج بالقدر ٤٣
العقبة السادسة : الشبهات ٤٤
العقبة السابعة : الخوف من التبعات (التكاليف) ٤٥
العقبة الثامنة : طول الأمل والتسويف ٤٦
العقبة التاسعة : التثبيط والسخرية والاستهزاء ٤٧
العقبة العاشرة : غربة الدين وقلة المعين ٤٨
العقبة الحادية عشرة : ضعف الشخصية ٤٩
العقبة الثانية عشرة : التقليد الأعمى والقدوات التافهة ٥٠
العقبة الثالثة عشرة : عدم وضوح الغاية والهدف ٥٠
العقبة الرابعة عشرة : الانغماس في المعصية واتباع الهوى ٥١
العقبة الخامسة عشرة : الاغترار بحلم الله والاتكال على سعة الرحمة ٥٢
العقبة السادسة عشرة : نظر المرء لمن هو دونه في الدين ٥٣
العقبة السابعة عشرة : الانشغال بالدنيا والخوف على فواتها ٥٤
العقبة الثامنة عشرة : ضعف الإرادة وفقدان العزيمة ودنو الهمة ٥٥
العقبة التاسعة عشرة : الاشتراط على الله ٥٥
العقبة العشرون : الاحتجاج بواقع بعض الملتزمين ٥٦

لوازم الانطلاق ٥٧
كن صادقًا مع الله في طلب الهداية ٥٧
أحسن الظن بالله ٥٩

كن ذا عزيمة ٦٠
بادر ولا تؤجل ٦٢
تب توبة نصوحا ٦٣
كن ذا همة عالية ٦٣
لملم شتاتك ووجِّه طاقاتك ٦٤
حدِّد وجهة السير ٦٤
وطن نفسك على الصبر وطول النَّفَس ٦٦
جهز العدة للسفر قبل المسير ٦٧
تعلم مهارة قيادة النفس ٦٨
تزود للسفر قبل المسير ٧١

تعرَّف على الطريق وطبيعته جيدًا ٧٦
طريق واحد لا ثاني له ٧٦
واضح في غاية الوضوح ٧٦
الطريق مستقيمة لا اعوجاج فيها ٧٧
الطريق طويلة منتهاها الوصول إلى الله ٧٨
الطريق لا وقوف فيها البتة ٧٩
الطريق قليل سالكوها فلا تستوحش ٧٩
الطريق عليها عوائق كثيرة ٨٠

قواعد المرور على الطريق ٨١
القاعدة الأولى : طريق الهداية يسير ميسر على مَن يسره الله عليه ٨١
القاعدة الثانية : إن تصدق الله يصدقك ٨٢
القاعدة الثالثة : طريق الهداية يُقطع بالقلوب وليس بالأقدام ٨٢
القاعدة الرابعة : عليك البداية وعلى ربك التمام ٨٣
القاعدة الخامسة : تدرَّج ولا تستعجل ٨٤
القاعدة السادسة : ترتيب الأولويات ومراعاة القدرات ٨٥
القاعدة السابعة : العبرة بكمال النهايات وليست بنقص البدايات ٨٦
القاعدة الثامنة : من لم تكن همته التقدم فهو في تأخر ولا يشعر ٨٦
القاعدة التاسعة : من فارق الدليل ضل سواء السبيل ٨٧
القاعدة العاشرة : المزاولات تعطي الملكات ٨٨
القاعدة الحادية عشرة : رضى الرب في العجلة إلى أوامره ٨٩
القاعدة الثانية عشرة : الجمع بين الحب والخوف والرجاء ٨٩
القاعدة الثالثة عشرة : المحرك على طريق السير قوتان:علمية، وعملية ٩٠
القاعدة الرابعة عشرة : من استطال الطريق ضعف مشيه ٩١
القاعدة الخامسة عشرة : طريق الهداية وسط ٩١
القاعدة السادسة عشرة : لا تغتر بقلة السالكين ولا بكثرة الهالكين ٩٢
القاعدة السابعة عشرة : لكل عمل شِرَّة ولكل شِرَّة فترة ٩٣
القاعدة الثامنة عشرة : قليل دائم خير من كثير منقطع ٩٤
القاعدة التاسعة عشرة : إهمال ساعة يفسد رياضة سنة ٩٥
القاعدة العشرون : العاقل ابن وقته ٩٦

بداية السير ٩٧
خطوات على طريق الهداية ٩٧
خطوات التخلية ٩٧
الخطوة الأولى: الاعتراف بالذنب وعدم التبرير ٩٨
الخطوة الثانية: التوبة التوبة ٩٩
الخطوة الثالثة: تحرر من رقِّ الهوى ١٠٢
الخطوة الرابعة: حاسب نفسك ١٠٢
الخطوة الخامسة : استح من نظر الله إليك ووقوفك بين يديه ١٠٣
الخطوة السادسة : لا تغتر بحلم الله عليك ١٠٥
الخطوة السابعة : تخلص من أسر الذنوب ١٠٥
ولكي تتخلص من الذنوب فلابد لك من أمور ١٠٦
الأمر الأول : أحكم الإغلاق ١٠٦
الأمر الثاني : اجعل بينك وبين المعصية مسافة ١٠٧
الأمر الثالث : كلما دعتك نفسك للمعصية فاستعذ بالله ١٠٩
الأمر الرابع : لا تسترسل مع خطرات الشيطان ١١٠
الأمر الخامس: لا تستصغر ذنبا ١١٠
الأمر السادس : اذكر ذنبك بالندم والخوف واستر على نفسك ١١١
الأمر السابع : إذا رأيت معصية فأنكرها ولو بقلبك ١١٢
الأمر الثامن : تذكر عواقب المعاصي والعصاة ١١٣

- ماذا لو أذنبت بعد ذلك ؟ ١١٤
  - الخطوة الأولى : لا تقنط من رحمة الله ١١٥
  - الخطوة الثانية : إذا وقعت فقم سريعًا وإياك والإحباط ١١٥
  - الخطوة الثالثة : أتبع السيئة الحسنة تمحها ١١٧

خطوات التحلية ١١٩

- الخطوة الأولى : اعرف ربك حق المعرفة ١١٩
- الخطوة الثانية : اعرض عملك على سنة النبي ﷺ ١٢٠
- الخطوة الثالثة: ابدأ بداية جادة ١٢١
- الخطوة الرابعة : وازن بين الخوف والرجاء ١٢٢
- الخطوة الخامسة : تعاهد إيمانك ١٢٣
- الخطوة السادسة : خذ نفسك بما تطيق حتى لا تنقطع ١٢٤
- الخطوة السابعة : تعامل مع نفسك بمبدأ الثواب والعقاب ١٢٥
- الخطوة الثامنة : ضع نفسك في بيئة إيمانية ١٢٦
- الخطوة التاسعة : عليك بالشيخ المربي ١٢٧
- الخطوة العاشرة : تذكر الآخرة ١٢٩
- الخطوة الحادية عشرة : أحسن توظيف هاتين النعمتين (الصحة والفراغ) .. ١٣٠
- الخطوة الثانية عشرة : اغتنم مواسم الخيرات ١٣٤
- الخطوة الثالثة عشرة : اقرأ في سير السلف والمهتدين ١٣٥
- الخطوة الرابعة عشرة : ادخل جنة العبادة ١٣٦

- قطّاع الطريق ١٥٩
  - القاطع الأول : النفس الأمارة بالسوء ١٥٩
  - القاطع الثاني : الشيطان ١٦٤
  - القاطع الثالث : الدنيا ١٦٧
  - القاطع الرابع : الهوى ١٧١
  - القاطع الخامس : صحبة السوء ١٧٢
- نهاية الرحلة ١٧٤
  - **المرحلة الأولى : عند مجئ الأجل** ١٧٤
  - **المرحلة الثانية : عند خروج الروح وفي القبور** ١٧٥
  - **المرحلة الثالثة : يوم القيامة** ١٧٧
    - لا يحزنون عند الفزع الأكبر ١٧٧
    - هم في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ١٧٧
    - يشربون من حوض النبي ﷺ ١٧٨
    - يأخذون كتبهم بأيمانهم ١٧٨
    - ثقل موازين المهتدين ١٧٩
    - تبيض وجوههم ١٧٩
    - يلقون ربًا غفورًا يستر عيوبهم ويغفر ذنوبهم ١٧٩
  - **المرحلة الرابعة والأخيرة : دخول الجنة** ١٨٠
    - بأي شيء نصف الجنة ؟! ١٨١
- الفهرس ١٩٢

رحلة
الهداية